موقف يعقوب صنوع من الحركات الإسلامية الإصلاحية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر: المهدية نموذجا

Ya'qūb Sanu's position of the Islamic reform movements in the last quarter of nineteenth century *"The Mahdist Model"*

د. أميرة السعيد الطنطاوي محمد

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية التربية– جامعة الإسكندرية

ملخص البحث باللغة العربية

يُعد يعقوب صنوع (١٨٣٩-١٩١٢) من أبرز المفكرين المصريين الذين كانت لكتاباتهم أثر بالغ في إحداث نهضة فكرية ليس فقط في المجتمع المصري بل في المجتمع الإسلامي أيضا، فرغم أن صنوع كان يهوديا إلا أنه اهتم بواقع المسلمين اهتماما جعل بعض الكتاب يزعمون انتسابه إلى الإسلام، أظهر اهتماما بالكتابة الصحفية فأصدر جريدة "أبو نظارة" التي كتب مقالاتها في أحيان كثيرة باللغة العامية الدارجة، وكانت الجريدة مصورة تصويرا هزليا رائعا، عبر عن آراء صنوع وأفكاره بحيث شكلت عباراته ورسومه كلا واحدا ساعد على إيضاح أفكاره ونقلها إلى قرائه، وتعددت الموضوعات التي تطرق لها صنوع في جريدته التي ظلت تصدر لمدة أربعة وثلاثين عاما، وكانت الحركة المهدية وتطورات الوضع في السودان من أهم موضوعاتها، حيث شهد القرن التاسع عشر ظهور عدد من الحركات الإسلامية الإصلاحية ذات الطابع الاستقلالي، وكانت الحركة المهدية التي ظهرت خلال الربع الأخير من ذلك القرن بزعامة محمد أحمد (١٨٤١-١٨٨٥) الملقب بالمهدي واحدة من أهم هذه الحركات التي أثرت بشكل كبير في المجتمع الإسلامي، كما كان لها تداعياتها القوية في الموقف الدولي.

تتناول هذه الورقة البحثية بالدراسة موقف يعقوب صنوع من الحركة المهدية من خلال ثلاثة محاور رئيسة، يسبقها تمهيد عرفت فيه بصورة موجزة بشخصية يعقوب صنوع ودراسته واهتماماته الثقافية، ثم أوضحت في المحور الأول بداية ظهور الحركة المهدية، وعدم اكتراث يعقوب صنوع بشأنها إلا بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م واتخاذ بريطانيا بعض الإجراءات التي عبرت عن نيتها في التدخل للقضاء على هذه الحركة، مما دفع صنوع إلى الاهتمام بشأنها، ثم أشرت في المحور الثاني إلى موقف يعقوب صنوع من الانتصارات المهدية في فترة حكم المهدي (١٨٨٣-١٨٨٥) وكيف أضفى صنوع هالة من التعظيم على انتصارات أتباعه، مُظهِرا بالغ سعادته لهزائم الإنجليز المتتالية، ومصرع كبار قادتهم على يد القوات المهدية، ثم جاء المحور الثالث ليوضح موقف يعقوب صنوع من الصراع المهدي- الإنجليزي في الفترة من (١٨٨٥-١٨٩٩) حيث حكم عبد الله التعايشي (١٨٤٦-١٨٩٩) كخليفة للمهدي، فانقلبت الانتصارات المهدية في عهده إلى هزائم متتالية غض صنوع الطرف عن ذكرها، كما أنه حول في بعض الأحيان انتصارات الإنجليز إلى هزائم.

أما عن مصادر البحث فقد اعتمدت بصورة أساسية على صحف يعقوب صنوع التي شكلت المصدر الأساسي لمادة البحث، هذا إلى جانب الاعتماد على بعض الصحف الإنجليزية المحاصرة للأحداث مثل لندن جازيت **London Gazette**، وإيفيننج بوست **Evening Post** حيث أوردت بعض المعلومات بشأن القوات الإنجليزية المحاربة في السودان، فساعد ذلك على المقارنة بين ما ذكره صنوع وما ذكرته تلك الصحف بشأن أحداث الحركة المهدية، بالإضافة بعض وثائق دار الوثائق القومية بالقاهرة، ولاسيما وثائق مجلس الوزراء، وعدد من الدوريات والمراجع العربية والأجنبية.

Abstract in English

Ya'qūb Sanu (1839-1912) was one of the most prominent Egyptian intellectuals, whose writings had a profound effect on creating a renaissance of thought, not only in Egyptian society, but in Islamic society, too. Although Sanu was a Jewish, he cared a lot about the reality of Muslims, that make some writers claimed his affiliation to Islam. Sanu gave an obvious interesting the Art of theater and he was the first founder of a theater in Egypt, then he showed an interest in press writings and released "Abu-Naddara" newspaper, which often wrote its articles in a colloquial language. The newspaper had wonderful comic illustrations, which expressed Sanu's opinions and ideas. His phrases and paintings formed one unit and helped to clear his ideas and transferred them to his readers .Numerous topics that he touched in his newspaper, had been issued for thirty four years. The Mahdist movement and the situation developments in Sudan were one of her most important topics, as the nineteenth century saw the emergence number of reformist Islamic movements with independence nature.

The Mahdist movement which appeared in the last quarter of that century under the leadership of Muhammad Ahmed (1843-1885) who titled with El-Mahdi was one of the most important movements, which influenced significantly in Islamic society and had strong repercussions in the international situation. This research paper deals with the studying of Ya'qūb Sanu's position from The Mahdist movement in three main axis Preceded by preliminary to characterize Ya'qūb Sanu briefly, his studying and cultural interests, In the first theme I explained the onset emergence of The Mahdist movement and Ya'qūb 's lack attention of it, until after the British occupation of Egypt in 1882 when Britain took some proceedings to express her intention to intervene and eliminate this movement, that prompted Sanu to care about it .In the second theme , I referred to Ya'qūb's position from The Mahdist victories under the rule period of El-Mahdi(1883-1885) and how imparted an aura of veneration on his followers victories appeared his happiness with the defeating British successive and the death of their senior leaders by The Mahdist troops. In the third theme, I explained Ya'qūb's position from The Mahdist -English conflict in (1885-1899) when Abdullah El-Taaishy (1846-1899) ruled as a successor to El-Mahdi and The Mahdist victories changed into successive defeats. Sanu didn't mention them, but also he sometimes changed the English victories into defeats.

The research sources relied mainly on Sanu's newspapers This formed the basic source of the research subject, beside depending on some contemporary English newspapers for events like London Gazette and Evening Post which had some information about fighting forces in Sudan and helped to compare Sanu's sayings against those newspapers about The Mahdist movement events, in addition to some documents of the Egyptian national archive in Cairo, especially Documents of the Council of Ministers, also a number of English and Arabic periodicals and references.

موقف يعقوب صنوع من الحركات الإسلامية الإصلاحية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر: المهدية نموذجا

دكتورة/ أميرة السعيد الطنطاوي محمد
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية التربية – جامعة الإسكندرية

مقـــدمة

يُعد يعقوب صنوع (١٨٣٩-١٩١٢) من أبرز المفكرين المصريين الذين كانت لكتاباتهم أثر بالغ في إحداث نهضة فكرية ليس فقط في المجتمع المصري بل في المجتمع الإسلامي أيضا، فرغم أن صنوع كان يهوديا إلا أنه اهتم بواقع المسلمين اهتماما جعل بعض الكتاب يزعمون انتسابه إلى الإسلام، كما أبدى صنوع اهتماما واضحا بالمسرح وكان أول من أسس مسرحا في مصر، ثم أظهر اهتماما بالكتابة الصحفية فأصدر جريدة "أبو نظارة" التي كتب مقالاتها في أحيان كثيرة باللغة العامية الدارجة، وكانت الجريدة مصورة تصويرا هزليا رائعا، عبر عن آراء صنوع وأفكاره بحيث شكلت عباراته ورسومه كلا واحدا ساعد على إيضاح أفكاره ونقلها إلى قرائه، وتعددت الموضوعات التي تطرق لها صنوع في جريدته التي ظلت تصدر لمدة أربعة وثلاثين عاما، وكانت الحركة المهدية وتطورات الوضع في السودان من أهم موضوعاتها، حيث شهد القرن التاسع عشر ظهور عدد من الحركات الإسلامية الإصلاحية ذات الطابع الاستقلالي، وكانت الحركة المهدية التي ظهرت خلال الربع الأخير من ذلك القرن بزعامة محمد أحمد (١٨٤١-١٨٨٥) الملقب بالمهدي واحدة من أهم هذه الحركات التي أثرت بشكل كبير في المجتمع الإسلامي، كما كان لها تداعياتها القوية في الموقف الدولي.

تتناول هذه الورقة البحثية بالدراسة موقف يعقوب صنوع من الحركة المهدية من خلال ثلاثة محاور رئيسة، يسبقها تمهيد عرفت فيه بصورة موجزة بشخصية يعقوب صنوع ودراسته واهتماماته الثقافية، ثم أوضحت في المحور الأول بداية ظهور الحركة المهدية، وعدم اكتراث يعقوب صنوع بشأنها إلا بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م واتخاذ بريطانيا بعض الإجراءات التي عبرت عن نيتها في التدخل للقضاء على هذه الحركة، مما دفع صنوع إلى الاهتمام بشأنها، ثم أشرت في المحور الثاني إلى موقف يعقوب صنوع من الانتصارات المهدية في فترة حكم المهدي (١٨٨٣-١٨٨٥) وكيف أضفى صنوع هالة من التعظيم على انتصارات أتباعه، مُظهِرا بالغ سعادته لهزائم الإنجليز المتتالية، ومصرع كبار قادتهم على يد القوات المهدية، ثم جاء المحور الثالث ليوضح موقف يعقوب صنوع

من الصراع المهدي– الإنجليزي في الفترة من (١٨٨٥–١٨٩٩) حيث حكم عبد الله التعايشي (١٨٤٦–١٨٩٩) كخليفة للمهدي، فانقلبت الانتصارات المهدية في عهده إلى هزائم متتالية غض صنوع الطرف عن ذكرها، كما أنه حول في بعض الأحيان انتصارات الإنجليز إلى هزائم.

أما عن مصادر البحث فقد اعتمدت بصورة أساسية على صحف يعقوب صنوع التي شكلت المصدر الأساسي لمادة البحث، هذا إلى جانب الاعتماد على بعض الصحف الإنجليزية المحاصرة للأحداث مثل لندن جازيت **London Gazette**، وإيفيننج بوست **Evening Post** حيث أوردت بعض المعلومات بشأن القوات الإنجليزية المحاربة في السودان، فساعد ذلك على المقارنة بين ما ذكره صنوع وما ذكرته تلك الصحف بشأن أحداث الحركة المهدية، بالإضافة بعض وثائق دار الوثائق القومية بالقاهرة، ولاسيما وثائق مجلس الوزراء، وعدد من الدوريات والمراجع العربية والأجنبية.

تـمـهيد

ولد يعقوب صنوع في القاهرة عام ١٨٣٩م لأبوين يهوديين، فوالده رفائيل صنوع يهودي مصري ذو أصول أسبانية[١]، فقد والديه قبل مولده أربعة أطفال؛ ولهذا عندما حملت به والدته ذهبت إلى شيخ مسجد الشعراني ليدعو الله أن يحفظ مولودها القادم، فبشرها بأنه سيكون ولدا، وأن الله سيحفظه، وأنها إذا أرادت أن يظل على قيد الحياة فعليها أن تهبه لخدمة الإسلام والمسلمين، ويعلق ماتي موسى **Matti Mossa** على تلك الحادثة بأن والدة يعقوب صنوع "مارست العادات الشائعة لدى النساء الشرقيات خلال تلك الفترة بغض النظر عن معتقداتها الدينية اليهودية"[٢]. اهتم والده بتعليمه اللغات الأجنبية، فإلى جانب إتقانه للغة العربية والعبرية أتقن اللغة الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، وفي الثانية عشرة من عمره قرأ يعقوب صنوع العهد القديم باللغة العبرية، والإنجيل باللغة الإنجليزية، والقرآن الكريم بلغته العربية؛ مما عده بعض من ترجم له علامة من علامات النضج المبكر[٣].

---

[١] Ettmueller, Eliane Ursula, "Abu¯ Nazza¯ra's Journey from Victorious Egypt to Splendorous Paris: The Making of an Arabic Punch", in: Asian Punches: A Transcultural Affair, Heidelberg: Springer, 2013, p. 225.

[٢] Mossa, Matti, The Origins of Modern Arabic Fiction, Second Edition, Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1997, p. 41.

[٣] Badawi, M.M., "Father of the Modern Egyptian Theatre: Ya'qūb Sannu", Journal of Arabic Literature, Vol.16, 1985, p. 132.

اهتم يعقوب صنوع بالشعر العربي وأبدى فيه تفوقا ملحوظا، فأوعز إليه والده وهو في الثالثة عشرة من عمره بكتابة قصيدة لمدح أحمد يكن باشا حفيد محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨) فأعجب بها أيما إعجاب، وكافأه بأن أرسله لدراسة الفنون والآداب على نفقته الخاصة في ليفورنو Livorno بإيطاليا فمكث بها ثلاثة أعوام، ثم عاد إلى مصر عام ١٨٥٥م[٤]، فوجد والده وأحمد يكن باشا قد توفيا، فاتجه إلى تدريس اللغات والموسيقى والرسم لأفراد الأسرة الخديوية وأبناء النبلاء[٥].

في عام ١٨٧٠م أنشأ صنوع أول مسرح عربي في القاهرة، فأعجب به الخديو إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) إعجابا دعاه إلى أن يسميه إذا ذُكِرَ التمثيل "موليير مصر"، ومنحه المنح وأمده بالعون الأدبي، فحضر بعض فصوله التمثيلية تشجيعا له[٦]، كما أقبل المصريون على مسرحيات صنوع التي كتبها بلغة عامية يسهل فهمها[٧]، ثم سافر إلى أوروبا عام ١٨٧٤م، فتأثر بحياة الأوروبيين وحضارتهم، ولما عاد إلى مصر وجد فيها رأيا عاما يتطور تطورا سريعا، وكان وجود السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) في مصر أحد أسباب تلك الصحوة الفكرية، فاشتدت صلته بالأفغاني وتلميذه الإمام محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥) عن طريق تدريس اللغة الفرنسية لهما، وقد أوحى الأفغاني إلى صنوع بإصدار جريدة تعبر عن فكرهما الحر فأصدر جريدة "أبو نظارة زرقا"[٨]، ويتفق جُل من أرَّخ للصحافة الفكاهية في مصر أن ميلادها يرتبط بإصدار جريدة "أبو نظارة"؛ فهي التي نبهت الأذهان إلى مثل هذا اللون الصحفي الجديد[٩]، وقد أكد صنوع على أهمية الفكاهة في

---

(٤) Ettmueller, Eliane Ursula, op.cit., p.225.

(٥) Badawi, M.M., op.cit., p.132.

(٦) إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الآداب، د.ت، ص ٥٠-٥١.

(٧)Gendizer, Irene L.," James Sanua and Egyptian Nationalism", Middle East Journal, Vol. 15, No.1, winter 1961, p. 18.

(٨)يذكر فيليب دي طرازي قصة لتسمية الجريدة بأبي نظارة زرقا بأن صنوع كان خارجا يوما من بيته للبحث عن حمار يركبه، فإذا بالفلاحين يحيطون به، ويرغب كل منهم أن يركبه حماره، فلما زاحموه أحب أن يتخلص منهم، فإذا بأحد منهم يناديه يأبا النظارة الزرقا – وكان حينئذ يستعمل النظارات الزرقاء وقاية لعينه من حرارة الشمس – فرن هذا الاسم في أذنيه، فاستحسن عبارة الفلاح، وصمم اتخاذها عنوانا لصحيفته، ثم عاد إلى جمال الدين الأفغاني وأخبره بما حدث فاستحسن الاسم، واتخذه صنوع اسما لجريدته. انظر:

– فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثاني، بيروت: المطبعة الأدبية، ١٩١٤، ص ٨-٩.

(٩) عبد الله أحمد عبد الله، الصحافة الفكاهية في مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٣، ص ص ٥-٧.

تحقيق التوعية، وأن المجلات الفكاهية الساخرة تعد أداة مهمة في نشر الوعي بالأحداث الجارية، مشيرا إلى أن هذا النوع من الصحف يلقى رواجا كبيرا في أوروبا وله أثر واضح في تفكير الأوربيين(١٠).

صدر العدد الأول من جريدة أبي نظارة في الخامس والعشرين من مارس ١٨٧٨م، وطبع في مطبعة الخواجه فرديناندو كومبوزو **Firdinan du Kumbuzu** في الأزبكية بالقاهرة(١١)، وكان أسلوب الجريدة سهلا بسيطا فقد استخدم صنوع في أحيان كثيرة اللغة العامية الدارجة في الكتابة، كما كانت الجريدة مصورة تصويرا هزليا رائعا، فقد رسم صنوع صورا معبرة لترجمة أفكاره التي أوردها في مقالاته، وكان ذلك جزء من منهجه في الكتابة أكد عليه منذ أن أصدر العدد الأول من جريدته حين أشار إلى أهمية الصور المرسومة في نشر أفكاره، وتوصيلها للقراء باختلاف ثقافاتهم(١٢).

لقيت جريدة أبي نظارة إقبالا واضحا، وتهافت عليها الناس من جميع الطبقات في المدن والريف(١٣)، وهاجم صنوع النظار المصريين في فترة حكم الخديو إسماعيل، وكذلك الموظفين الأجانب في الحكومة المصرية، ثم تطرق لنقد الخديو نفسه، فأخذ يندد بسياسته، ويوضح أنه بالغ في ظلم الفلاح وحمله ما لا يطيق، وأنه سبب توريط البلاد في الديون الخارجية، وتعرضها لطمع الأجانب وظلمهم؛ ولهذا حارب إسماعيل صنوع بشدة، وحاول إغلاق جريدته، ولكنه لم يفلح في ذلك في بادئ الأمر؛ لأن صنوع كان متمتعا بالحماية الإيطالية، فألح إسماعيل على قنصل إيطاليا لإغلاق جريدته ونفيه من مصر، وبعد محاولات متكررة سُمِح له بذلك(١٤)، فخرج صنوع من القاهرة في الثالث والعشرين من يونيو ١٨٧٨م متجها إلى باريس.

---

(١٠) Ettmueller, Eliane Ursula, op.cit., p. 220.

(١١) Ibid, p. 220.

(١٢) Ibid, p. 221.

(١٣) سجل بلانكارد جيرولد Blanchard Jerrold –وهو أحد معاصري يعقوب صنوع– أن توزيع الجريدة الأسبوعي بلغ خمسة عشرة ألف نسخة، ويوافقه في ذلك الرقم بول دي بنيير Poul De Baignières ، أما بلنت Blunt فأشار أن الجريدة كان يوزع منها أسبوعيا ألفين نسخة ويعلق جيندير Gendizer أن تقدير بلنت محافظ وأكثر موضوعية. انظر:

- Gendizer, op.cit., p. 25.

(١٤) Mossa, Matti, op.cit., p.48.

بعد مضي خمسة أسابيع واصل نشر صحيفته من جديد، فمنع الخديو إسماعيل توزيعها في مصر، ورغم ذلك ظلت الجريدة توزع سرا في الريف والمدن على حد سواء[١٥]، فقد أصدر صنوع صحيفته بأسماء مختلفة، فتارة تحمل اسم أبو زمارة، وأبو صفارة، والحاوي، والوطني المصري، والنظارات المصرية، والمنصف، والتودد، وبمطالعة تلك الجرائد يتضح أن جميعها واحدة، وإن اختلفت أسماؤها، فلم تختلف الجرائد في مضمونها أو أسلوبها، أو الشكل الذي صدرت به، بل إن سبب تغيير أسماءها هو تشدد الحكومة المصرية إزاء الصحف الحرة ولاسيما تلك التي تروج لما يخالف توجهاتها[١٦]، وتطبيقها بكل شدة وصرامة لقانون المطبوعات الصادر في السادس والعشرين من نوفمبر ١٨٨١م[١٧]، وبالتالي منعت الحكومة المصرية دخول صحف يعقوب صنوع إلى مصر، فكان يغير أسماءها حتى لا تُصادر في الموانئ المصرية[١٨]، وظل صنوع في باريس يصدر جريدته حتى ديسمبر عام ١٩١٠م، بعدها أصيب بمرض شديد، وفقد بصره ثم مات في العاصمة الفرنسية في الثلاثين من سبتمبر ١٩١٢م[١٩].

وحينما نتناول موقف صنوع من الحركة المهدية تجدر الإشارة إلى موقفه من الإسلام والمسلمين، حيث بالغ صنوع في الدفاع عن قضايا المسلمين لدرجة أثارت بعض التساؤلات حول حقيقة انتسابه إلى الإسلام، ولكن يتفق جُل المؤرخين على أن صنوع لم يكن مسلما بحال من الأحوال؛ فيذكر ماتي موسى أنه نشأ على تعاليم اليهودية، ودرس

---

(١٥) جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الرابع عشر السنة الثالثة، بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٧٩، ص ٤.

(١٦) وثائق مجلس الوزراء، نظارة الداخلية، محفظة ١/١ (صحافة ومتفرقات ومطبوعات)، ملف١، بتاريخ ٧ يوليو ١٨٨٢، الكود الأرشيفي ٠٠٠٠٠١-٠٠٧٥ .

(١٧) نفس المصدر، نظارة الداخلية، محفظة ٢/١، ملف١٠، بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٨١؛ جريدة الوقائع المصرية، العدد ١٣٠٧، بتاريخ ١٤يناير ١٨٨٢، ص ١.

كان الهدف من إصدار قانون المطبوعات القضاء على حرية الصحف، والوقوف في وجه اندفاعها الثوري، فقد أعطى للحكومة الحق في عدم منح تصريح لإصدار الصحف التي تتناول الأمور السياسية دون أن تلتزم بإبداء الأسباب التي دفعتها لذلك، ولهذا وصفه مراسلو الصحف الأجنبية بأنه "قانون شديد وأسخف من أن ينفذ". انظر:

– تيودور روثستين، تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥-١٩١٠، ترجمة: عبد الحميد العبادي، محمد بدران، الطبعة الثانية، بيروت: دار الوحدة، ١٩٨١، ص ٣٢٣.

(١٨) جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الرابع عشر السنة الثالثة، بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٧٩، ص٤.

(١٩) Mossa, Matti, op.cit., p. 51.

العهد القديم، وكان من خدام كهنة المعبد اليهودي[٢٠]، وهو الأمر الذي أكده جينديزر Gendizer حينما أشار بأن صنوع "ولد لأبوين يهوديين، وتزوج في كنس يهودي، ودفن في مقبرة يهودية وهذا يجعله يهودي في نظر أتباعه، ورغم ذلك فكان ولائه للدين الإسلامي والمسلمين"[٢١].

لم يشر يعقوب صنوع في مذكراته إلى أصله اليهودي[٢٢]، وقد أخبر عن نفسه في جريدته "أن صنوع رجل عجيب لا يُعرف إذا كان مسلم ولا نصراني ولا يهودي بيخلط الإنجيل على التوراة على القرآن الشريف"[٢٣]، وبالرجوع إلى كتابات صنوع المختلفة يمكن القول بأنه لم ينف يهوديته؛ ويستدل على ذلك بعدة مقالات نشرها في جرائده منها على سبيل المثال: المقال الذي حث فيه المسلمين على مواجهة الإنجليز، موضحا سوء أفعالهم وارتكابهم للزنا واللواط مخاطبا جموع المسلمين بقوله "أن هذه الأفعال في دينكم حرام"[٢٤]، وفي ذلك دلالة على أنه على غير دين الإسلام، وفي مقام آخر أشار إلى أن سبب إلقائه الخطب في المحافل الدولية التي تبين آداب القرآن وحسن خصال العرب، ووفائهم بعهودهم هو تحبيب جميع الأمم والديانات في بعضها، وإزالة النفور الذي يُحتمل وجوده بينها، وأنه يحترم القرآن الكريم والإنجيل كاحترامه للتوراة [٢٥]. وكأنه بذلك يعلن أن التوارة هي كتابه السماوي الذي يدين به ويقدره، فهو أيضا يحترم القرآن والإنجيل ككتب سماوية مثلما يحترم التوراة، وكان صنوع يكرر دائما في كتاباته أن أبي نظارة "محب للمسلمين واليهود والنصارى"[٢٦]، وهنا يتضح تأثر يعقوب صنوع بأستاذه جمال الدين الأفغاني الذي حاول التوفيق بين الأديان الثلاث والجمع بينها، معللا ذلك أنه وجد أن أكثر ما يختلف عليه الناس هو الدين[٢٧].

---

(٢٠) Ibid, p.41.

(٢١) Gendizer, op.cit., p.18.

(٢٢) Mossa, Matti, op.cit., p.41.

(٢٣) جريدة الحاوي، العدد الأول، بتاريخ ١٨ فبراير ١٨٨١، ص ٦.

(٢٤) جريدة أبي نظارة، العدد السابع السنة التاسعة، بتاريخ ٢٥يوليو ١٨٨٥، ص ٣.

(٢٥) "خطب أبي نظارة"، نفس المصدر، العدد الرابع السنة الخامسة عشر، بتاريخ ١٨ إبريل١٨٩١، ص ٢.

(٢٦) جريدة الحاوي، العدد الأول، بتاريخ ١٨ فبراير ١٨٨١، ص ٦.

(٢٧) محمد باشا المخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني، الطبعة الثانية، دمشق: مطابع دار الفكر، ١٩٦٥، ص ٤٧.

أولا: ظهور الحركة المهدية وموقف يعقوب صنوع منها

ولد محمد أحمد في الثاني عشر من أغسطس ١٨٤٤م، في مدينة "لبب" جنوبي مدينة دنقلة، كان والده نجارا، وحينما ضاق به العيش في مدينته انتقل ومعه أفراد أسرته إلى بلدة "كرري" شمال أم درمان، فحفظ القرآن في أحد كتاتيب القرية، واتجه إلى العلم والتفقه في الدين، واشتهر منذ صغره بالورع والتقوى والزهد، ثم رحل عام ١٨٧١م مع أخويه –وكانا يعملان بالنجارة– إلى جزيرة "أبا" لكثرة أشجارها النافعة في صنع المراكب، وفيها بنى مسجدا ومكانا للتدريس؛ فاشتهر بين سكان الجزيرة وما حولها حيث أقبل عليه أهلوها يتتلمذون على يديه، فاستشعر مكانته في نفوسهم، وأراد الاستفادة من الاتجاه العام الذي بدأ ينتشر في السودان عن توقعات ظهور المهدي المنتظر، فأخبر تلاميذه ومريديه في مارس ١٨٨١م أنه هو المهدي المزعوم، ثم أعلن ذلك على الملأ في جزيرة "أبا" في التاسع والعشرين من يونيه ١٨٨١م[٢٨].

تأثر المهدي في دعوته إلى حد كبير بالشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣–١٧٩١) بجزيرة العرب، الذي دعا إلى الرجوع بالدين الإسلامي إلى بساطته الأولى بعد تخليصه من الشوائب والبدع التي علقت به في مختلف العصور، وكذلك العمل على لم شمل المسلمين لرفع شأن الإسلام، وقد اقتصرت دعوته في أول الأمر على الشئون الدينية ثم اتجهت وجهة سياسية بعد أن تعرض المهدي في دعوته لنظم الحكم السائدة في السودان، واتهامه المصريين والعثمانيين بالخروج على قواعد الدين، وأن أمور السودان لن تستقيم إلا بطردهم منها، وتولي السودانيين مقاليد أمورهم، وتوجيهها لما فيه مصلحة السودان[٢٩]، ثم أرسل المهدي الرسائل إلى مشايخ الطرق وزعماء القبائل السودانية معلنا لهم دعوته، حاثا إياهم على نصرته التي رأى فيها نصرة للدين الإسلامي، وطلب من الناس البيعة له على أساس عدم الشرك بالله، وعدم الاقتراب من الزنا، وعدم الفرار من الجهاد[٣٠].

---

(٢٨) حمدنا الله مصطفى حسن، "الثورة المهدية في السودان (١٨٨١–١٨٩٨م)"، منشور في: كتاب محبة التاريخ دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر مهداة إلى: أحمد زكريا الشلق، تحرير: لطيفة محمد سالم، إعداد: عبد المنعم محمد سعيد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦، ص ٤٦–٤٧.

(٢٩) محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الإسكندرية: ١٩٩٨، ص ٣٧١–٣٧٢.

(٣٠) حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص ٤٧.

أخذت الدعوة المهدية في الانتشار وتزايد عدد أتباع المهدي، وتعاهدت عدد من القبائل السودانية على نصرته مما شكل خطرا على الحكومة المصرية، ولما علم بذلك رءوف باشا حكمدار السودان (١٨٧٩-١٨٨٢) كان عليه أن يتخذ موقفا حيالها[٣١]، فأرسل حملة عسكرية بقيادة محمد بك أبو السعود في الثاني عشر من أغسطس ١٨٨١م، إلا أن رجال المهدي تمكنوا من هزيمتها رغم قلة أسلحتهم؛ وتفوق حملة الحكومة في السلاح؛ وذلك بسبب سوء الأحوال الجوية في الجزيرة[٣٢]، ثم أراد المهدي الابتعاد عن مقر الحكومة في الخرطوم، فانتقل بأتباعه إلى جبال النوبة الواقعة على أطراف كردفان وفاشودة واستقر في جبل قدير[٣٣]، فأراد راشد بك مدير فاشودة القيام بحملة عسكرية للقضاء على المهدي، إلا أن الأخير نصب لها كمينا فأبيدت الحملة، وقتل راشد بك نفسه في التاسع من ديسمبر ١٨٨١م[٣٤]، وتبين لدى الحكومة المصرية فشل رءوف باشا في مواجهة الخطر المحدق بالوجود المصري في السودان، فاستُدعي إلى القاهرة، وعُين بدلا منه عبد القادر حلمي باشا (١٨٨٢- ١٨٨٣) وحتى وصول الأخير إلى السودان آل أمر إدارتها إلى جيجلر باشا وهو في الأصل ضابط ألماني التحق بخدمة الحكومة المصرية، فقرر القضاء على المهدي بحشد القوات الموجودة في السودان، وسمحت له الحكومة المصرية بحرية التصرف[٣٥]، فأرسل حملة من أربعة آلاف جندي بقيادة يوسف باشا الشلالي، فالتقت بقوات المهدي الذين حققوا انتصارا ساحقا على تلك الحملة، وأبيد الشلالي وجميع رجاله في صباح السابع من يونيه ١٨٨٢م[٣٦]، وقد عد السودانيون هذه الانتصارات معجزات إلهية وبرهانا ساطعا بأن محمد أحمد هو المهدي المنتظر؛ ولاسيما وأن المناخ الديني داخل السودان كان مهيأ لتقبل مثل هذه الأفكار[٣٧].

---

[٣١] Churchill, Winston Spencer, The River War: an historical account of the reconquest of the Sudan, Edited by Col. F. Rhodes, London: Longman Green and Co., 1902, p. 27.

[٣٢] حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص ٥٢.

[٣٣] نفس المرجع، ص ٥٣.

[٣٤] Churchill, Winston Spencer, op.cit., p. 29.

[٣٥] ب. م. هولت، المهدية في السودان، ترجمة: جميل عبيد، مراجعة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨، ص ٦٥.

[٣٦] Churchill, Winston Spencer, op.cit., p. 29-30.

[٣٧] حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص ٥٣.

على الرغم من انتصارات المهدي خلال العامين الأولين من حركته فإن صنوع لم يُرد في صحيفته ذكرا لها؛ ويمكن إرجاع السبب في ذلك إلى أمرين:

الأول: انشغال صنوع بأحداث الثورة العرابية، وتركيز جل أفكار ومقالات جريدة أبو نظارة خلال فترة الثورة على متابعة أحداثها، ونشر ما يحث الضباط على الاستمرار في ثورتهم، والمصريين على مساندتهم.

الثاني: موقف المهدي المعادي للعثمانيين، فكان يراسل القبائل السودانية ليحرضهم على الثورة على رجال الحكومة، وكان ينادي"بعدم دفع الضرائب للترك الكفرة"، وأن كل من يجد عثمانيا فعليه أن يقتله معللا ذلك بأن العثمانيين كفرة[٣٨]، وكان هذا يخالف موقف صنوع المؤيد للدولة العثمانية، وللسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦– ١٩٠٨) فقد امتلأت صحفه بالإشادة بعظمته، والثناء عليه وعلى ما قام به من إصلاحات جوهرية في الدولة العثمانية[٣٩].

بعد قضاء الإنجليز على الثورة العرابية واحتلالهم مصر في سبتمبر ١٨٨٢م أعلنت بريطانيا عدم تدخلها بحال في أمر الحركة المهدية، وعدم إرسالها فرق بريطانية أو هندية إلى السودان، ولكن هذا لم يعن تجاهلها لأمر هذه الحركة؛ فقد أرسلت الكولونيل ستيوارت Stewart (١٨٤٥–١٨٨٤) إلى الخرطوم في نوفمبر ١٨٨٢م ليدرس الموقف عن كثب، ويكتب تقريره بشأنه، مؤكدة أنه لا يجوز له التدخل في الشئون العسكرية، ثم تقرر استدعاء عبد القادر حلمي باشا حكمدار السودان، وإرسال علاء الدين باشا صديق ليتولى إدارة شئون السودان المدنية، على أن تسند الأمور العسكرية إلى سليمان باشا نيازي ويعاونه الكولونيل الإنجليزي وليام هكس[٤٠] William Hicks (١٨٣٠–١٨٨٣) باعتباره رئيسا لأركان حربه[٤١].

---

[٣٨] هولت، مرجع سابق، ص ٦٧–٦٨.

[٣٩] انظر على سبيل المثال مقال: "عيد الجلوس السلطاني"، جريدة أبي نظارة، العدد السادس عشر السنة السادسة عشر، بتاريخ ٢٥ أغسطس ١٨٩٢، ص ١.

[٤٠] ضابط بريطاني عمل بجيش بومباي عام ١٨٤٩م، ثم شارك في الحملة البريطانية على الحبشة (١٨٦٧–١٨٦٨)، حصل على لقب عقيد Colonel عام ١٨٨٠م، وبعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م التحق بخدمة الخديو توفيق وحصل على لقب باشا. انظر:

–William Hicks, Encyclopedia Britannica, Vol. 13, 1911, p. 448-449.

[٤١] هولت، مرجع سابق، ص٨٠.

بمجرد ظهور اهتمام الإنجليز بشأن الحركة المهدية في السودان، وتوارد الأنباء عن إرسال الضباط الإنجليز إليها، بدأ اهتمام صنوع بشأن الحركة المهدية، وأخذ هذا الاهتمام يزداد تدريجيا، فكانت أولى كتاباته عنها ما صدّر به العدد الثالث من السنة السابعة من جريدته حيث صور المهدي يمتطي جواده، شاهرا سيفه، يخطب في أتباعه مشيرا إلى أنهم هم المسلمون الخُلص الذين جبلت قلوبهم على محبة الإسلام، واليقين بوعد الله وأنهم بقية الصالحين في الأرض الذين أراد الله أن يؤيد بهم دينه، ويذل الذين أغراهم الشيطان على المسلمين(٤٢).

رسم رقم (١) يصور فيه صنوع خطاب المهدي السوداني لأتباعه(٤٣)

على الرغم من أن صنوع لم يعلق على نص الخطاب الذي نسبه إلى المهدي، إلا أن تطور الأوضاع في السودان وعزل سليمان نيازي باشا، وتولية هكس القيادة العامة للقوات المحاربة للمهدي أشعره بأن بريطانيا ترغب في القضاء على الحركة المهدية، كما قضت على الثورة العرابية، ونظرا لكراهية صنوع الشديدة للإنجليز(٤٤)، فقد حرص في

(٤٢) "خطاب المهدي"، جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الثالث السنة السابعة، بتاريخ ٣ مارس ١٨٨٣، ص ٢.

(٤٣) نفس المصدر، ص ١.

(٤٤) كان يعقوب صنوع يكره الإنجليز كراهية شديدة، فعندما علم بقرار الخديو إسماعيل بإخراجه من مصر حمل الإنجليز جانبا من المسئولية، وأشار إلى أنهم مارسوا ضغوطا على الخديو من أجل إغلاق جريدته؛ لما ينشره من مقالات يشيد فيها بالثقافة الفرنسية، وظل صنوع يشن حرب لا هوادة فيها ضد إنجلترا موضحا أنه لم ير في التاريخ دولة أكثر بشاعة أو سفاهة منها، فهي ترسل شياطينها إلى الدول المستقرة فتنشر فيها الفساد، وتشيع فيها =

الأعداد التالية من جريدته على التأكيد على أن هدف المهدي وأتباعه العمل على تشييد الدين والاجتهاد لإعلاء كلمة الإسلام، ورفع منار المسلمين، وأنهم يبذلون أرواحهم وأنفسهم لمنع أعداء الدين من السيطرة على بلادهم[٤٥]، وأحيانا ابتعد صنوع عن الحقيقة مشيرا إلى حب المهدي لمصر وللمصريين، وأن غايته الأولى الأخذ بثأر أحمد عرابي (١٨٤١-١٩١١) وأخوانه الذين خانهم الخديو توفيق (١٨٧٩- ١٨٩٢) وسلمهم لأعدائهم، وأن المهدي سيسعى لحرية مصر، ورجوع أبنائها المذلولين لسعادتهم وثروتهم التي تمتعوا بها إبان حكم محمد علي باشا[٤٦]، ولهذا تعجب صنوع من شأن العلماء المسلمين المنتسبين للأزهر الشريف الذين أصدروا الفتاوى –بإيعاز من الخديو توفيق– لبيان ضلال المهدي، بدلا من نصرته ونشر مقاصده الحسنة، وقد أكد صنوع على أن إعانة المهدي وأتباعه واجبة على الصغير والكبير؛ عقلا لصيانة شرف البلاد، وشرعا لحفظ الدين[٤٧]، وهنا يمكن القول بأن ما ذكره صنوع بشأن رغبة المهدي تحرير مصر من أيدي الإنجليز كان أمرا مخالفا للعقائد التي ارتكزت عليها المهدية، فقد كان الجهاد ضد مصر أحد تلك العقائد التي سيتم الإشارة إليها لاحقا.

حرص صنوع على توصية المصريين بعدم الاستجابة للإنجليز ومحاربة المهدي حتى لا يكونوا "فضيحة للسلف، وسبب ذل الخلف"[٤٨]، وفي هذا الصدد نشر صنوع في جريدته رسالة من أحد أهالي الخرطوم يدعى موسى المنقراتي أوضح فيها استنكار المهدي وتعجبه من بعض المصريين الذين يأتون لمحاربته تحت قيادة عدوهم المشترك –ويقصد

=

الخراب بحجة تمدنها، موضحا كذب الإنجليز ونقضهم للعهود، وحرصهم على الإيقاع بين أبناء الشعب الواحد والغدر بهم. انظر:

– "الأسد الأفريقي والنمر الإنجليزي الأرزق"، جريدة أبي نظارة، العدد الخامس عشر السنة السادسة عشر، بتاريخ ١٠ أغسطس ١٨٩٢، ص ١؛ "الكاذب كافر"، العدد الأول السنة التاسعة عشر، بتاريخ ٥ فبراير ١٨٩٥، ص٢.

– Mossa, Matti, op.cit., p. 48.

[٤٥] "المهدي"، جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الثالث عشر السنة السابعة، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٨٨٣، ص ٢.

[٤٦] نفس المصدر، العدد الأول السنة الثامنة، بتاريخ ١٩ يناير ١٨٨٤، ص ٢.

[٤٧] "المهدي"، نفس المصدر، العدد الثالث عشر السنة السابعة، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٨٨٣، ص ٢.

[٤٨] جريدة أبي نظارة، العدد الرابع السنة التاسعة، بتاريخ ١٨ إبريل ١٨٨٥، ص ٢.

بهم الإنجليز– وأنه على المصريين إعانته بقوة أقلها الامتناع عن محاربته[٤٩]، وقد أورد يعقوب صنوع أخبارا كثيرة بشأن سفر المصريين إلى السودان ليحاربوا إلى جانب قوات المهدي، فقد نشر –على سبيل المثال– مقالا بعنوان "الحاجة مبروكة" أشار فيه إلى سفر أحد أبنائها ويدعى عثمان إلى السودان؛ للانضمام إلى قوات المهدي لمحاربة الإنجليز، وأنه أبلى بلاءا حسنا حتى قُتِل في أحد المعارك، وأن الخديو توفيق حينما علم بذلك فرح لمقتل عثمان، وأقام مأدبة شرب فيها مع الإنجليز حتى الثمالة تشفيا في "كسر أنف أبناء مصر وموت عثمان"[٥٠]، وهو بذلك يريد أن يُظهر خيانة الخديو توفيق وكراهيته لأبناء مصر، وأنه يحرص على التقرب من الإنجليز صيانة لعرشه وحفظا لوجوده في خديوية مصر.

ثانيا: موقف يعقوب صنوع من الانتصارات المهدية في الفترة من (١٨٨٣-١٨٨٥)

حقق أتباع المهدي الذين أطلق عليهم اسم "الأنصار" انتصارات متتالية وبارزة على القوات المصرية الإنجليزية التي تصدت لهم، وحاولت القضاء على حركتهم في السودان، وقد شهدت فترة حكم محمد أحمد المهدي عددا من المعارك التي سطع فيها نجم أتباعه، وأبادوا القادة الإنجليز واحدا تلو الآخر، وقد نقل صنوع أخبار تلك الانتصارات بنوع من الفخر المشوب بالتشفي والذي اتضح فيه كراهيته للإنجليز، يمكن عرض هذه المعارك على النحو التالي:

١. موقعة شيكان

أرادت الحكومة المصرية التصدي لقوات المهدي، فقرر الكولونيل هكس القيام بحملة في سبتمبر ١٨٨٣م لمحاربة المهدي في الأبيض، شجعه على ذلك بعض الانتصارات التي أحرزها على حساب القوات المهدية في سنار[٥١]، وقد تواترت أخبار هذا الحملة وتناقلتها بعض الصحف الأجنبية؛ فعلم صنوع بنبأ خروجها، فنشر في جريدته في السابع والعشرين من أكتوبر ١٨٨٣م رسما صور فيه هزيمة هكس –وكان يطلق عليه اسم إخص– على يد قوات المهدي دون الإشارة إلى أية تفاصيل بشأن هذه الانتصارات، وهنا يمكن القول بأن ما نشره صنوع كان مجرد توقع لحدوث النصر؛ وذلك لأن هزيمة قوات هكس على يد المهدي وأتباعه في موقعة شيكان كانت في الخامس من نوفمبر

---

[٤٩] جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الثالث السنة الثامنة، بتاريخ ٨ مارس ١٨٨٤، ص ١–٢.

[٥٠] "الحاجة مبروكة"، نفس المصدر، العدد الثاني عشر السنة السابعة، بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٨٨٣، ص ١– ٢.

[٥١] William Hicks, Encyclopedia Britannica, Vol. 13, 1911, p. 448-449.

١٨٨٣م[٥٢]، وقد علق صنوع على أسبقيته للصحف الأجنبية في إذاعة نبأ هزيمة هكس بأن لديه مصادره الخفية في السودان التي يحصل بها على معلوماته[٥٣]. وقد حرص صنوع على نشر نبأ انتصار المهدي في شيكان في أكثر من عدد من أعداد جريدته، موضحا أن القائد الإنجليزي هكس وضباطه الذين بلغ عددهم عشرة آلاف لم ينج منهم أحد، فقد مزقتهم قوات المهدي شر ممزق[٥٤]، ومن الملاحظ أن صنوع ظل يُذَكِر بأنباء انتصارات القوات المهدية في شيكان حتى بعد مرور سنوات عليها[٥٥]؛ لرفع الروح المعنوية للقوات المهدية، وتذكيرهم بسابق انتصاراتهم على الإنجليز.

رسم رقم (٢) يصور فيه صنوع انتصار المهدي على قوات هكس[٥٦]

نجح صنوع إلى حد كبير في عرض مشاعر المصريين المتفاوتة إزاء هزيمة شيكان ومقتل هكس ورجال حملته، ولأن يعقوب صنوع اعتاد على نقل أفكاره من خلال استخدام

---

[٥٢] لمزيد من التفاصيل عن موقعة شيكان انظر:
هولت، المرجع السابق، ص ٨٤– ٨٥.

[٥٣] جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الرابع عشر السنة السابعة، بتاريخ ٨ ديسمبر ١٨٨٣، ص ٢–٣.

[٥٤] نفس المصدر، العدد الأول السنة الثامنة، بتاريخ ١٩يناير ١٨٨٤، ص ٢.

[٥٥] "وجود الإنجليز بمصر وانهزامهم بالسودان"، نفس المصدر، العدد الرابع السنة الثانية عشرة، بتاريخ ٢٩ إبريل ١٨٨٨، ص ١.

[٥٦] "نصر المهدي وكسر الجنرال إخص"، نفس المصدر، العدد الثالث عشر السنة السابعة، بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٨٨٣، ص ١.

المحاورات[٥٧]، فنشر محاورة بين اثنين من شخصياته وهما "مجدع" و"الحدق" عبر فيها الأول عن بالغ سعادته وفرحة المصريين بالهزيمة التي تلقاها هكس وأعوانه على يد قوات المهدي، بينما أشار الثاني إلى حزنه على المصريين الذين قتلوا في شيكان، والذين ساقهم هكس –على حد قوله– "كما تساق الأغنام للمذبح"، ولهذا حمّل صنوع مسئولية قتل المصريين ضباطا وجنودا للإنجليز[٥٨]، كذلك أوضح صنوع حزن الخديو توفيق لما حدث في شيكان، وأن مبعث حزنه لم يكن بسبب ما خسرته مصر من أبناء في هذه المعركة، ولكن بسبب مقتل الجنرال هكس الذي نسب صنوع إلى توفيق وصفه بأنه "قرة عينه وسيد الشجعان"[٥٩]، وهنا يلاحظ أن صنوع أراد أن يظهر للمصريين عدم اكتراث الخديو توفيق بأمرهم، ومبالغته في المحاباة والاهتمام بشأن أعدائهم الإنجليز.

٢. الانتصارات المهدية في شرق السودان

قررت الحكومة المصرية بعد هزيمة شيكان إرسال حملة بقيادة السير فالنتين بيكر Valentine Baker (١٨٢٧–١٨٨٧) التي وصلت إلى سواكن في أواخر ديسمبر ١٨٨٣م، وضمت إليها قوات من مصوع وسنهيت[٦٠]، وخلال تلك الفترة نجحت محاولات عثمان دقنة[٦١] في نشر المهدية في شرق السودان، وحقق انتصارات واضحة على قوات الحكومة المصرية، كما حاصر طوكر، وسنكات وسواكن، وحينما وصلت قوات بيكر إلى شرق السودان حاول رفع الحصار عن طوكر، وتنبأ صنوع بهزيمة قوات بيكر أمام

---

[٥٧] Ettmueller, Eliane Ursula, op.cit., p. 226.

[٥٨] جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الرابع عشر السنة السابعة، بتاريخ ٨ ديسمبر ١٨٨٣، ص ٢–٣.

[٥٩] نفس المصدر، ص ٤.

[٦٠] حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص ٥٨.

[٦١] أحد قادة الحركة المهدية، ولد حوالي عام ١٨٤٠م، انتسب إلى أسرة الدقناب من جهة الأب، والبشارياب إحدى بطون قبيلة الهدندوة من جهة الأم، عمل في الحرفة التي توارثها أفراد عائلته متاجرا بين سواكن وسواحل بلاد العرب، وشمل نشاطه تجارة الرقيق، وبينما كان يمارس نشاطه قبض عليه وسجن مع اثنين من إخوته في جدة، فقضي بذلك على ثروة عائلته؛ مما أدى إلى حقد عثمان على الحكومة، وحاول إثارة القلاقل في سواكن أثناء الثورة العرابية، ثم انضم إلى المهدية، ويذكر بعض المؤرخين إنه خلال تلك الفترة حصل على لقب دقنة بسبب طول لحيته، وقد تمتع عثمان دقنة بنفوذ كبير لدى المهدي وخليفته، وحقق انتصارات واضحة على القوات الإنجليزية في السودان. انظر:

- هولت، مرجع سابق، ص ٩٥.

- Moon, George Washington, Men and women of the time, a dictionary of contemporaries, London: George Rutledge and Sons Limited, 1891, p. 682.

القوات المهدية، فصدقت نبؤته، حيث أوقع عثمان دقنة وجنوده بقوات بيكر هزيمة منكرة في الرابع من فبراير ١٨٨٤م، وقد عظم صنوع من شأن هذا النصر، موضحا أن جنود عثمان الذي وصفهم بـ"الأسود السود" مزقوا قوات بيكر الإنجليزي، وأنهم قتلوا منهم خمسة آلاف، وأوقعوا ألفا في الأسر(٦٢)، ولكن الأرقام التي ذكرها صنوع كان مبالِغا فيها، فقد بلغ إجمالي عدد القوات التي قادها فالنتين بيكر ثلاثة آلاف وستمائة وستة وخمسين مقاتلا(٦٣).

أثارت هزيمة بيكر ردود فعل قوية من جانب بريطانيا، ورغم اعتراض رئيس وزراء بريطانيا جلادستون **Gladstone** (١٨٠٩-١٨٩٨) ووزير خارجيته جرانفيل **Granville** (١٨١٥-١٨٩١) على إرسال حملة إلى سواكن، فقد اشتدت الملكة فيكتوريا **Victoria** (١٨٣٧- ١٩٠١) في استخدام القوة في السودان، وفي الحادي عشر من فبراير ١٨٨٤م تقرر إرسال ثلاث فرق عسكرية إلى سواكن بقيادة الجنرال جراهام **Graham** (١٨٣١-١٨٩٩)، وما كاد أن يصل إلى سواكن حتى علم بنبأ سقوط طوكر في يد أتباع المهدي في الثاني والعشرين من فبراير ١٨٨٤م، ورغم ذلك فقد حققت قوات جراهام انتصارات على قوات عثمان دقنة في شرق السودان(٦٤)، أحدثت هذه الانتصارات نوعا من الرضا لدى الإنجليز، وقد نشرت بعض الصحف الإنجليزية مثل لندن جازيت **London Gazette** وإيفيننج بوست **Evening Post** أخبار تلك الانتصارات وأشارت إلى منح الملكة فيكتوريا ضباط سلاح الفرسان الإنجليز الذين شاركوا في هذه المعارك وسام التميز تقديرا لجهودهم(٦٥).

لم يُشر صنوع إلى تلك الانتصارات من قريب أو من بعيد، بل اكتفى بأن ذكر أن جراهام وعد بمكافأة قدرها ألف جنيه لمن يأتي برأس عثمان دقنة، ثم أورد رسما أوضح فيه فرار جراهام من أمام عثمان دقنة، في الوقت الذي ناداه فيه الأخير مشيرا إلى أنه

---

(٦٢) جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الثاني السنة الثامنة، بتاريخ ٩ فبراير ١٨٨٤، ص ٢.

(٦٣) هولت، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٦٤) لمزيد من التفاصيل حول المعارك التي دارت بين قوات عثمان دقنة والجنرال جراهام، انظر:

- Spiers, Edward M., Dervishes and Fanaticism: perception and impact in: Fanaticism and Conflict in the Modern Age, Edited by: Hughes, M. and Johnson, G., First Published, New York: Frank Cass, 2005, pp. 23-25.

(٦٥) London Gazette, Issue 25351, 6 May 1884, p. 2078 ؛"SOUDAN HEKOES", Evening Post, Volume XXVIII, Issue 65, 13 September 1884, Supplement, p.1.

سيعطيه رأسه مقابل أن يأخذ منه الألف جنيه الموعودة، فرد عليه جراهام قائلا: "كتر خيرك يا شيخ العرب مرة غير دي أنا وراي شغل اليوم ومفيش في جيبي فلوس"[٦٦]، ومن الملاحظ أن صنوع قد أرجأ ذكر ما دار بين جراهام وعثمان دقنة لمدة شهرين حتى تأكد من ثبات قوات عثمان دقنة، وعدم تأثرهم بانتصارات قوات جراهام، فكما ذكر هولت Holt أن جهود جراهام لم تفلح إلا في تخفيف ضغط أتباع المهدي على سواكن التي ظلت في يد المصريين[٦٧].

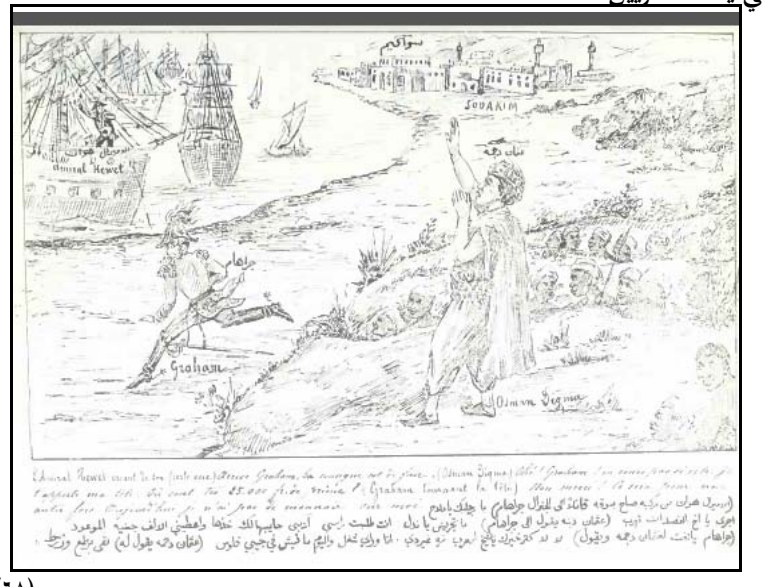

رسم رقم (٣) يوضح حصار عثمان دقنة لسواكن وفرار جراهام خوفا منه [٦٨].

٣. إسقاط الخرطوم

في الرابع من يناير ١٨٨٤م تقدمت الحكومة البريطانية بتوصية رسمية حاسمة بشأن إخلاء السودان، وعهدت إلى تشارلز جوردون Charles Gordon (١٨٣٣-١٨٨٥) بتقديم تقرير حول أفضل السبل لتحقيق الانسحاب، وقد حرص صنوع على بيان المخاطر التي تترتب على استجابة توفيق لأمر الإنجليز بإخلاء السودان، وتأثير ذلك سلبا

[٦٦] جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الرابع السنة الثامنة، بتاريخ ١٢ إبريل ١٨٨٤، ص ٤.
[٦٧] هولت، مرجع سابق، ص ١٠٢.
[٦٨] جريدة أبي نظارة زرقا، العدد الرابع السنة الثامنة، بتاريخ ١٢ إبريل ١٨٨٤، ص ٤.

على النواحي الاقتصادية[٦٩]، كما علق على تكليف جوردون بتلك المهمة بأنه اختيار غير موفق؛ لأنه سمع عنه أثناء فترة وجوده بالسودان حكايات تقشعر لها الأبدان، وأنه نهب أموال التجار، موضحا أن جوردون شارك بنفسه في تجارة الرقيق[٧٠]، ولكن ما ذكره صنوع كان مخالفا لما عُرِفَ عن جوردون؛ فقد حقق نجاحا ملحوظا في قمع تجارة الرقيق في السودان[٧١].

على أية حال فقد غادر جوردون القاهرة في السادس والعشرين من يناير ١٨٨٤م بصحبه الكولونيل ستيوارت، وقد اقتنع بأنه يمكنه إخلاء السودان سلما، وإقامة علاقات طيبة مع المهدي؛ ولهذا أعلن في بلدة "أبو حمد" أنه لا يرغب في محاربة المهدي، وبعث رسله لعرض الصلح عليه، واقتراح تعيينه سلطانا على السودان الغربي[٧٢]، كما أرسل له هدية عبارة عن رداء رسمي أحمر اللون مع طربوش، لكن المهدي رفض عرض جوردون؛ وأرسل أتباعه إلى الخرطوم في الثاني والعشرين من مارس ١٨٨٤م لدعوة جوردون إلى الدخول في الإسلام، وقدموا له الجبة ذات الرقع باعتبارها الرداء التقليدي للمهديين[٧٣].

ظن صنوع أن جوردون قد استجاب لدعوة المهدي للدخول في الإسلام، وربما كان السبب في ذلك عجز صنوع عن معرفة ما يحدث في السودان خلال تلك الفترة، وتردد الشائعات بشأن الاتفاق الذي تم بين المهدي وجوردون لإنهاء الحرب[٧٤]، ولهذا افتتح صنوع العدد السابع من جريدته لعام ١٨٨٤م بصورة أوضح فيها توسط جوردون أنصار المهدي، وإعلان دخوله في الإسلام، وعلق على الرسم بعبارة "دخول الجنرال جوردون في دين الإسلام وطهوره"[٧٥]،لكن حقيقة الأمر لم تكن كما صورها صنوع في

---

[٦٩] نفس المصدر، العدد الأول السنة الثامنة، بتاريخ ١٩ يناير ١٨٨٤، ص ٤.

[٧٠] نفس المصدر، العدد الثاني السنة الثامنة، بتاريخ ٩ فبراير ١٨٨٤، ص٢.

[٧١] لمزيد من التفاصيل عن جهود جوردون في قمع تجارة الرقيق في السودان انظر:

- Moore-Harell, Alice, "Slave trade in Sudan in the nineteenth century and its suppression in the years1877-1880", Middle Eastern Studies, Vol. 34, No. 2, Apr., 1998, pp. 113-128.

[٧٢] إبراهيم فوزي باشا، السودان بين يدي غردون وكتشنر، الجزء الأول، القاهرة: ١٣١٩هـ، ص ص ٢٦٥-٢٦٧.

[٧٣] حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص ٥٩.

[٧٤] جريدة أبي نظارة زرقا، العدد السادس السنة الثامنة، بتاريخ ٢١ يونيو ١٨٨٤، ص٢.

[٧٥] نفس المصدر، العدد السابع السنة الثامنة، بتاريخ ٢ أغسطس ١٨٨٤، ص١.

كتاباته؛ فقد رفض جوردون دعوة المهدي إياه لقبول الإسلام دينا له، وعادت رسل المهدي إلى الأبيض فأبلغوه برفض جوردون؛ فأمر المهدي أتباعه بإحكام محاصرة جوردون في الخرطوم(٧٦).

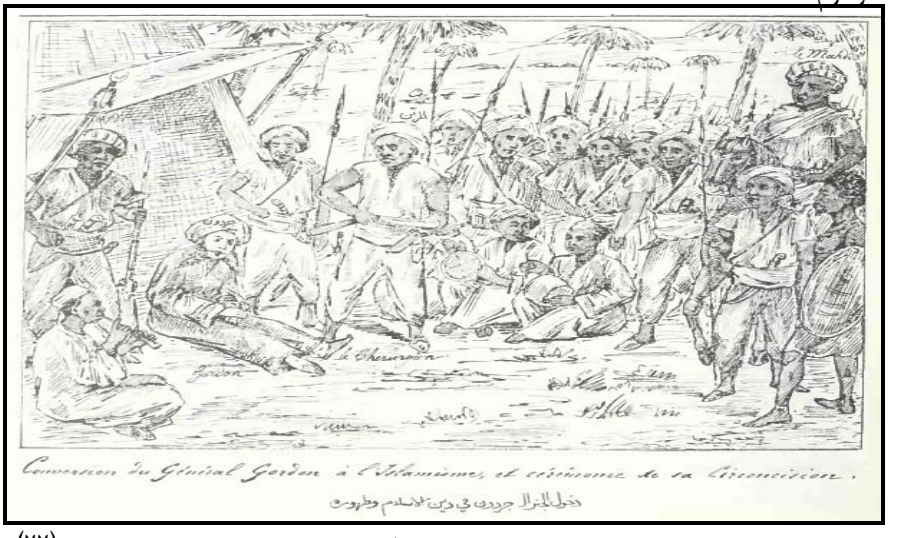

رسم رقم (٤) يوضح فيه صنوع توسط جوردون أنصار المهدي بعد دخوله الإسلام(٧٧).

كان موقف جوردون في الخرطوم حرجا للغاية؛ فقد أحاطت به قوات المهدي وسدت عليه الطرق المؤدية إلى الشمال، وإلى سواكن في الشرق مما جعل إخلاء الخرطوم دون مساعدة من الخارج أمرا عسيرا، وقد صور صنوع الحالة البائسة التي كان عليها جوردون، وحرصه على البحث عن أي وسيلة تساعده على الخروج من الخرطوم لكن دون جدوى(٧٨)، كما نقل بمنتهى الفرح والتشفي فقدانه الأمل في الاتصال بالعالم الخارجي بعد مقتل نائبه الكولونيل ستيوارت(٧٩)، الذي أرسله جوردون بخطابات إلى الحكومة المصرية والإنجليزية لطلب النجدة، ووصف الحالة البائسة لسكان الخرطوم(٨٠)، وقد أدرك صنوع

---

(٧٦) هولت، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٧٧) جريدة أبي نظارة زرقا، العدد السابع السنة الثامنة، بتاريخ ٢ أغسطس ١٨٨٤، ص١.

(٧٨) نفس المصدر، العدد الخامس السنة الثامنة، بتاريخ ١٧ مايو ١٨٨٤، ص٢.

(٧٩) نفس المصدر، العدد التاسع السنة الثامنة، بتاريخ ١ نوفمبر ١٨٨٤، ص٤.

(٨٠) إبراهيم فوزي باشا، المصدر السابق، الجزء الأول، ص٢٦١.

جيدا رد الفعل الإنجليزي إزاء محاصرة جوردون في الخرطوم، وقرار الحكومة الإنجليزية بشأن إرسال بعثة عسكرية لإنقاذه، ولهذا صور بريطانيا في صورة إمرأة عجوز حزينة لما يحدث لأبنائها في السودان، فتبدو في الرسم وهي تحمل الشوك فوق ظهرها، وتنظر إليها الدول الأوروبية بتهكم وسخرية؛ بسبب تزايد حملها لما أثقلت به كاهلها حين حملت أشواك السودان إلى جانب أشواك مصر(٨١).

رسم رقم (٥) يصور فيه آلام بريطانيا بسبب ما تواجهه من مشكلات في مصر والسودان(٨٢).

سقطت الخرطوم في الخامس والعشرين من يناير ١٨٨٥م، وقُتِلَ جوردون وهو يحارب أتباع المهدي برفقة حارسه الشخصي أغا خليل أورفلي **Orphly**، وقد ذكر الأخير أنه فقد وعيه أثناء القتال، وحينما أفاق بعد ظهر ذلك اليوم وجد جثة جوردون مغطاة بالذباب وقد قطعت رأسه(٨٣)، وقد نقل صنوع نبأ مقتل جوردون موضحا أنه "هلك ونهشت لحمائه كلاب الأزقة وجوارح الطيور"، وأن المهدي دخل الخرطوم منتصرا، وقد قرن انتصار المهدي بانتصار الحق، وأن ظهور دولته رحمة لقوم ونقمة لآخرين(٨٤)، مشيرا إلى أن ما

(٨١) جريدة أبي نظارة، العدد الثاني السنة التاسعة، بتاريخ ٧ فبراير ١٨٨٥، ص١.

(٨٢) نفس المصدر، ص١.

(٨٣) Neufeld, Charles, A Prisoner of the Khaleefa: Twelve year's Captivity at Omdurman, Chapman and Hall, LD., London: 1899, pp.332-337.

(٨٤) جريدة أبي نظارة، العدد الثالث السنة التاسعة، بتاريخ ٧ مارس ١٨٨٥، ص٣.

حدث للإنجليز في الخرطوم أفقدهم وعيهم وقدرتهم على التصرف[٨٥]، ونشر رسالة من أحد قراء جريدته علق فيها على أن انتصار المهدي وهزيمة الإنجليز إنما هو فعل الله الذي يؤيد بنصره من يشاء، والذي قدر نشوب الحرب بين الروس والإنجليز حول حدود أفغانستان في الوقت الذي أخذت فيه بريطانيا في الاستعداد لإرسال قوات لمحاربة المهدي والقضاء على حركته، وأن ذلك ما هو إلا نصرة من الله للمهدي وتأييدا له[٨٦].

أوضح صنوع إصابة الخديو توفيق بالذعر عندما علم بخبر سقوط الخرطوم في يد المهدي، لأنه خشى من إقدام الإنجليز على عزله وتعيين أخيه الأمير حسن (١٨٣٠–١٨٩٥) بدلا منه، وأنه أراد التخلص من أخيه بأن أرسله للإشراف على عملية إخلاء السودان[٨٧]، كما يلاحظ أن صنوع قد نسج من وحي خياله ردود أفعال بعض الأشخاص إزاء إسقاط الخرطوم؛ فقد أشار إلى أن الخديو إسماعيل عندما علم بهذا الخبر تظاهر بأنه سقط مغشيا عليه، وطلب أن يحضر له "نائحة" للمبالغة في إظهار حزنه، وأن ما فعله إسماعيل لم يخدع به الإنجليز؛ لأنهم يعرفون خبث نيته وسوء سريرته[٨٨]، وفي المقابل أشار إلى سعادة أحمد عرابي بانتصار المهدي وأتباعه، وإيمانه بأنهم لن يتركوا الجهاد إلا بعد إخراج الإنجليز من مصر[٨٩]، وهنا نلاحظ إسقاط صنوع لمشاعره واتجاهاته السابقة تجاه إسماعيل وعرابي على موقفهم من نجاح القوات المهدية في إسقاط الخرطوم؛ فكراهيته الشديدة لإسماعيل جعلته يوضح خبثه وحقده على انتصارات المهدي، رغم أن إسماعيل كان حينئذ بمعزل عن الأحداث؛ لعزله في يونيو ١٨٧٩م، كما أن حبه وتقديره لعرابي جعله ينسب إليه آماله في نجاح القوات المهدية في إخراج الإنجليز من مصر.

لم يعش المهدي طويلا بعد إسقاط الخرطوم، حيث توفي في الثاني والعشرين من يونيو ١٨٨٥م، لكن صنوع لم يذكر خبر وفاته، بل حاول التعتيم عليه؛ وفي محاورة بين اثنين من شخصيات جريدة أبي نظارة وهما "مجدع" و"الحدق" بشأن ما تواتر من أخبار عن وفاة المهدي أكد "الحدق" بأن وفاة المهدي سر لا يعلمه إلا أبو نظارة[٩٠]، وظل صنوع

---

[٨٥] نفس المصدر، العدد السابع السنة التاسعة، بتاريخ ٢٥ يوليو ١٨٨٥، ص٢.

[٨٦] نفس المصدر، العدد السادس السنة التاسعة، بتاريخ ٢٧ يونيو ١٨٨٥، ص٢.

[٨٧] نفس المصدر، ص٣.

[٨٨] نفس المصدر ، العدد الثالث السنة التاسعة، بتاريخ ٧ مارس ١٨٨٥، ص٣.

[٨٩] نفس المصدر ، العدد الرابع السنة التاسعة، بتاريخ ١٨ إبريل ١٨٨٥، ص٢.

[٩٠] نفس المصدر ، العدد العاشر السنة التاسعة، بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٨٨٥، ص١.

لمدة ثلاثة أعوام متجاهلا تماما مسألة وفاة المهدي، لكنه أشار إليها لأول مرة في أغسطس ١٨٨٨م حينما أشاد بالدور المهم الذي لعبه المهدي في مواجهة الجراد الحمر– يقصد بهم الإنجليز– وأنه يطمع أن يكون المهدي في الجنة متنعما بالرحمة والرضوان[٩١].

ثالثا: موقف يعقوب صنوع من الصراع المهدي- الإنجليزي (١٨٨٥-١٨٩٩)

استمر الصراع قائما بين القوات المصرية الإنجليزية والقوات المهدية عقب وفاة المهدي، لكنه لم يكن قويا فيما بقي من العقد الثامن من القرن التاسع عشر، لانشغال خليفة المهدي عبد الله التعايشي بتوطيد ركائز حكمه، وحرص بريطانيا على سحب القوات المصرية من السودان، ولكن مع مطلع العقد التاسع من القرن نفسه شهد الصراع المهدي الإنجليزي طورا جديدا انقلبت فيه الموازين، وحقق الإنجليز انتصارات متتالية على القوات المهدية، انتهت باسترجاعهم للسودان والقضاء على الحركة المهدية، وقد عرض صنوع لأحداث تلك الفترة من خلال نقل أخبار المعارك التي دارت بين الجانبين على النحو التالي:

١. مهاجمة مصر وموقعة توشكي

حرص صنوع في كتاباته على ترسيخ فكرة الترابط بين أنصار المهدي والمصريين، حيث أكد في أكثر من موضع من جريدته أن السودانيين من أتباع المهدي مصريون، وأن غايتهم الكبرى إخراج الإنجليز من مصر؛ لأنهم يعدون أنفسهم والمصريين "أمة واحدة، شريعتهم واحدة، وعوائدهم واحدة، ولغتهم واحدة، وشعارهم واحد الوطن الوطن"، وكان دائما ما يغرس الأمل في نفوس المصريين بأن نجاة مصر وخلاصها من الاحتلال البريطاني سيكون على يد أتباع المهدي، إذا فشلت الضغوط الدولية لإجبار الإنجليز على الخروج من مصر[٩٢].

---

[٩١] "برج إيفيل"، نفس المصدر، العدد الثامن السنة الثانية عشر، بتاريخ ١٥ أغسطس ١٨٨٨، ص١.

[٩٢] نفس المصدر، العدد الخامس السنة الحادية عشر، بتاريخ ٢١ مايو ١٨٨٧، ص٢؛ العدد التاسع السنة الحادية عشر، بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٨٨٧، ص٢؛ العدد الخامس والسادس السنة الثانية عشر، بتاريخ ٥ يونيو ١٨٨٨، ص٢.

الراجح أن تلك الفكرة التي روج لها صنوع كانت مخالفة للواقع؛ لأن المهدي وأتباعه تنبوا فكرة الجهاد ضد مصر[٩٣]، وكانت تلك الفكرة أحد ركائز السياسة المهدية، وأحد العقائد الأساسية الراسخة في نفوسهم، واتُخِذت الخطوة الأولى للقيام بحملة ضد مصر في عهد المهدي، فقد أمر عبد الرحمن النجومي (١٨٥٤-١٨٨٩) في فبراير ١٨٨٥م بإعداد قواته لمهاجمة مصر، لكن حالة تلك القوات من حيث تأخر رواتبهم، وانتشار وباء الجدري بينهم حال دون إتمام هذه الحملة، وفي عهد خليفة المهدي عبد الله التعايشي عادت تلك الفكرة إلى الظهور، وكانت مهاجمة مصر عملا عدائيا موجها ضد العثمانيين والمصريين لإخضاعهم لحكم الدولة المهدية، ويستدل على ذلك مما ذكره التعايشي لأتباعه بأنه رأى النبي ﷺ في منامه فأبلغه أن الرعب من المهدية قد أخذ بمجامع قلوب العثمانيين والمصريين، وأنه أذن له بمحاربة المصريين، وكبر النبي ﷺ ضد المصريين مرتين فكبر التعايشي وراءه، ثم كبر ضد العثمانيين والإنجليز فكبر من بعده[٩٤]. وهنا يلاحظ أن التعايشي لم يفرق بين المصريين والعثمانيين والإنجليز فقد عدهم جميعا أعداء له وللدولة التي ينشد إقامتها.

ذكر صنوع في العدد العاشر من جريدة أبو نظارة لعام ١٨٨٥ أن ثلاثين ألفا من "الأسود السود" هاجموا وادي حلفا، فقابلوا آلايين من الإنجليز فهزموهم هزيمة فادحة، وألقوا بجثثهم في النيل حيث تغذت عليهم التماسيح والدرافيل[٩٥]، رغم أنه في نهاية العام الأول من حكم عبد الله التعايشي لم يكن لديه جيش قادر على غزو مصر، وأن القوات الإنجليزية والمصرية تحت قيادة القائد الإنجليزي جرانفيل **Granville** (١٨٤١-١٩٢٥) هي التي بادرت بمهاجمة أتباع المهدي في دنقلة، وأنزلت بهم هزيمة ساحقة في معركة جينس **Ginnis** في التاسع والعشرين من ديسمبر ١٨٨٥م، وفر قائدهم محمد الخير من ميدان المعركة[٩٦]، وهو الأمر الذي تناقلته الصحف البريطانية مشيدة بأداء القوات الإنجليزية، مثنية على إدارة جرانفيل لهم، حتى أنه كوفئ بأن رقي إلى رتبة عقيد

---

[٩٣] لمزيد من التفاصيل عن عقيدة الجهاد في الفكر المهدي انظر:
- Spiers, Edward M., op.cit., pp. 23-25.

[٩٤] هولت، المرجع السابق، ص ١٦٥-١٦٦.

[٩٥] جريدة أبي نظارة، العدد العاشر السنة التاسعة، بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٨٨٥، ص٢.

[٩٦] هولت، مرجع سابق، ص ١٦٥-١٦٦.

Colonel في السابع من يناير ١٨٨٦م[٩٧] لكن صنوع عرض الأحداث بصورة مخالفة للواقع حينما أشاد بانتصار قائد القوات المهدية محمد الخير على الإنجليز، وأنه أنزل بهم هزيمة ساحقة وغنم منهم مهمات جسيمة[٩٨].

على أية حال فقد تأجل مشروع غزو مصر بسبب اضطراب الأوضاع في السودان، والمشكلات التي برزت أثناء إعداد الحملة، لكن عبد الله التعايشي قرر في إبريل ١٨٨٩م إحياء هذا المشروع، بعد أن أرسل أربعة إنذارات نهائية إلى الخديو توفيق، والملكة فيكتوريا، والسلطان عبد الحميد الثاني يدعوهم فيها إلى إعلان الخضوع للمهدية، ولما لم يتلق أية ردود أصدر أوامره بتحرك القوات المهدية تحت قيادة عبد الرحمن النجومي لإتمام عملية الغزو[٩٩]، فاندفعت تلك القوات يحدوها الأمل في مساعدة المصريين لهم وقبولهم للدعوة المهدية، ولكن الواقع كان خلاف ذلك؛ فلم تُقابل القوات المهدية بأدنى ترحيب في القرى المصرية التي وصلوا إليها، بل شارك المصريون في إعاقة تقدمهم بمنع الغذاء والماء عنهم، أو بحمل السلاح ضدهم، مما سهل مهمة القائد الإنجليزي جرانفيل الذي استطاع هزيمة القوات المهدية هزيمة منكرة في موقعة توشكي في الثالث من أغسطس ١٨٨٩م[١٠٠] فكان كل ما نشره صنوع بشأن إيمان المصريين بالمهدية، ورغبتهم في التعاون مع المهديين لإخراج الإنجليز من مصر مجرد إدعاءات لا أساس لها من الصحة.

على الرغم من أن انتصار الإنجليز في موقعة توشكي كان انتصارا حاسما تناقلته الصحف البريطانية، وكوفئ جرانفيل على إثره أيضا بأن رقي إلى رتبة اللواء General [١٠١]، لكن صنوع أكد أن تلك الأخبار التي ينشرها الإنجليز "كلام مسخرة وهلس في هلس"، موضحا أن ذلك النصر الذي روجت له الصحف البريطانية لم يكن انتصارا على أتباع المهدي، بل كان انتصارا على الأطفال والنساء والشباب المقيمين على الحدود المصرية السودانية، وأن جرانفيل كي يثبت لدولته أنه حقق عملا بارزا ضد المهديين أطلق النيران على هؤلاء الأبرياء وأسر بعضهم، ثم أعقب ذلك برسم صور فيه بريطانيا في صورة إمرأة عجوز ترقص فرحا على جثث القتلى ظنا منها بأنها تخلصت من مشكلة السودان،

---

(٩٧) London Gazette, Issue 25573, 30 March 1886, p. 1536.

(٩٨) جريدة أبي نظارة، العدد الأول السنة العاشرة، بتاريخ ٣٠ يناير ١٨٨٦، ص٢.

(٩٩) هولت، مرجع سابق، ص ١٩٤-١٩٥.

(١٠٠) London Gazette, Issue 25963, 9 August 1889, p. 4318.

(١٠١) Ibid, p. 4318.

وبينما هي على ذلك الحال رأت المهديين الذين وصفهم صنوع بالأسود السود يتجهون نحوها كالسيل المنهمر، فصاحت ونصحت قومها بأن يفروا جميعا من أمامهم حتى لا يُهلكوا في ساعة واحدة أمام شدة بأس المهديين[١٠٢].

LE MASSACRE DES INNOCENTS

رسم رقم (٦) يوضح فيه صنوع سعادة بريطانيا الزائفة بموقعة توشكي[١٠٣].

٢. حصار سواكن

حقق عثمان دقنة انتصارات واضحة على القوات المصرية الإنجليزية في شرق السودان عقب إسقاط الخرطوم، فاشتبكت قواته مع القوات الإنجليزية بقيادة السير جون ماكنيل **John McNeill** (١٨٣١-١٩٠٤) في موقعة دموية عرفت باسم "زريبة ماكنيل" في الثالث والعشرين من مارس ١٨٨٥م، وكانت نتيجة الموقعة لصالح الأنصار، كما فشل هجوم شنه الجنرال جراهام على القوات المهدية في الثالث من إبريل في القبض على عثمان دقنة؛ فغادرت معظم القوات الإنجليزية سواكن في مايو ١٨٨٥م[١٠٤]، وقد عظم صنوع من شأن تلك الانتصارات، وفي مقال بعنوان "عثمان دقنة بطل السودان" أشاد صنوع بعثمان دقنة موضحا أنه أظهر فضل العرب، وجدد شهامتهم بانتصاراته على الإنجليز، الذين فروا من أمام قواته تاركين أسلحتهم خوفا منهم، وأن أغلب الإنجليز وقعوا

---

(١٠٢) "مذبحة الأبرياء"، جريدة أبي نظارة، العدد الثامن السنة الثالثة عشر، بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٨٨٩، ص ٣.

(١٠٣) نفس المصدر، ص ٤.

(١٠٤) هولت، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

تحت رماحهم، متشفيا في هزيمتهم معلنا أن الإنجليز يستحقون الكسرة والهزيمة، وفي مبالغة من جانب صنوع في وصف انتصار قوات عثمان دقنة أشار إلى أن إنجلترا فقدت زهرة شبابها في السودان، حتى أنها اضطرت إلى تجنيد الأطفال الرضع لمواجهة الخطر المحدق بهم، وفي رسم صدر به العدد السابع من جريدته لعام ١٨٨٦م بالغ في وصف هزيمة إنجلترا في شرق السودان؛ حيث أظهر الأطفال الإنجليز يجندون للحرب في السودان، ومن خلفهم المرضعات اللاتي كلفن برعايتهم[١٠٥].

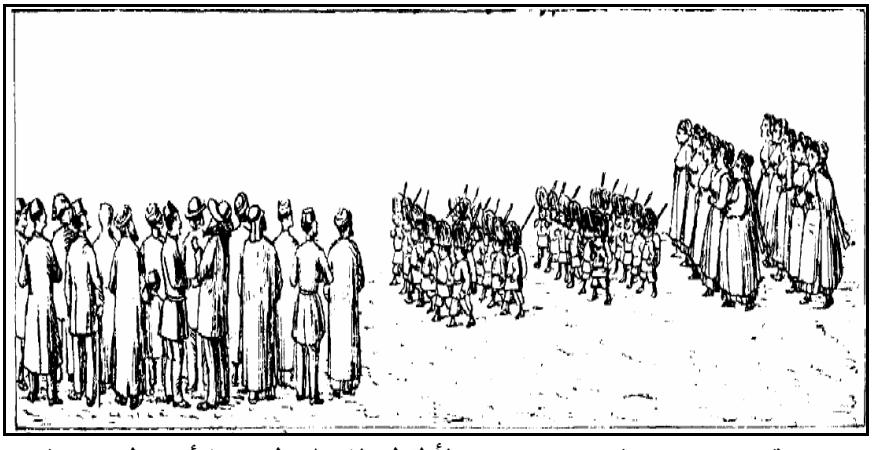

رسم رقم (٧) يوضح فيه صنوع تجنيد الأطفال الإنجليز لمحاربة أتباع المهدي في السودان[١٠٦].

أدت انتصارات عثمان دقنة في شرق السودان إلى تجمد الموقف في سواكن خلال عامي ١٨٨٦-١٨٨٧م، ولكن بعد أن تولى كتشنر **Kitchener** (١٨٥٠-١٩١٦) حاكما عاما لسواحل البحر الأحمر في سبتمبر ١٨٨٦م فخصص جزءا من جهوده؛ لتقوية استحكامات سواكن والحفاظ عليها من السقوط في يد قوات المهدي[١٠٧]، ولهذا بادر عثمان دقنة في سبتمبر ١٨٨٨م بإحكام الحصار حول سواكن، وأشار صنوع

[١٠٥] جريدة أبي نظارة، العدد السابع السنة العاشرة، بتاريخ ٢١ أغسطس ١٨٨٦، ص٤.

[١٠٦] نفس المصدر، ص٤.

[١٠٧] Heathcote, T.M., The British Field Marshals 1736-1997: A Biographical Dictionary, London: 1999, p. 193.

إلى قطع الأنصار الماء عن القوات الإنجليزية المُحاصَرة في سواكن، وأنهم إذا حاولوا الخروج منها داسوهم بالأقدام، وقد صور صنوع القائد الإنجليزي جرانفيل في صورة ثعلب يتودد إلى عثمان دقنة –الذي صوره في صورة أسد– لينعم عليه بشربة ماء، فيشير إليه الأخير أن آبار المياه موجودة خارج سواكن، وأنه بإمكانه الخروج ليرتوي منها، فيرد عليه جرانفيل بأنه يخشى سطوته، فيصيح عثمان دقنة في وجهه "إذ لم تخرج فمت عطشا"(١٠٨).

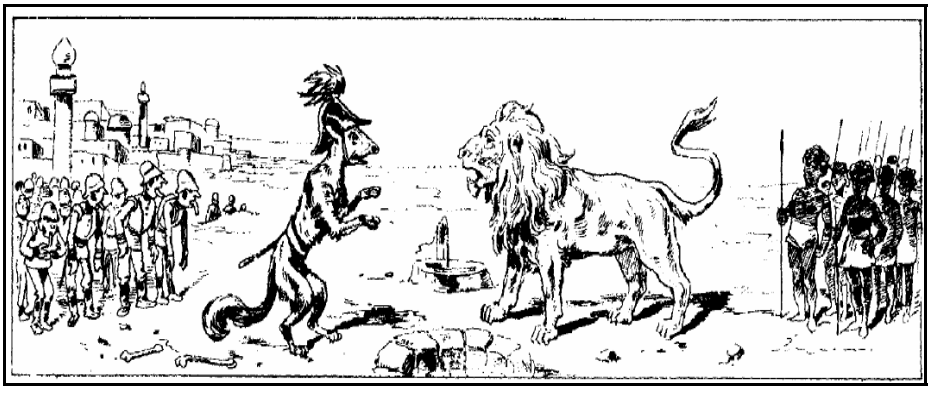

رسم رقم (٨) يوضح فيه الصراع بين عثمان دقنة وجرانفيل حول السيطرة على سواكن(١٠٩).

أوضح صنوع إنزعاج الإنجليز بسبب حصار سواكن، وأنهم أرسلوا القوات من القاهرة لرفع الحصار عنها، وأن القوات المصرية التي خرجت إلى تلك المهمة خرجت في حالة يرثها لها من الحزن والأسى؛ لذهابهم مكرهين لقتال إخوانهم السودانيين ومساعدة أعدائهم، كما تهكم صنوع من أمل الإنجليز في رفع الحصار عن سواكن؛ لما عليه قوات عثمان دقنة من تنظيم، وما لديهم من تسليح بالبنادق والمدافع يجعلهم في عظم الجيوش الأوروبية(١١٠)، ويمكن القول بأن هذا الوصف الذي وصف به صنوع الجيش المحاصر لسواكن كان مخالفا للواقع؛ فقد أدى التكوين العنصري المتباين للقوات المهدية المحيطة بسواكن إلى إضعاف فاعليتها، هذا إلى جانب الضعف الذي منيت به هذه القوات بمرور

(١٠٨) جريدة أبي نظارة، العدد الثاني عشر السنة الثانية عشر، بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٨٨٨، ص٤.
(١٠٩) نفس المصدر، ص ٤.
(١١٠) نفس المصدر، ص٤.

الوقت بسبب نقص المؤن والسلاح والخلاف بين كبار القادة، وهو الأمر الذي تُرجم في فشل الأنصار في إسقاط سواكن، ورفع الحصار عنها، وتأكيد عثمان دقنة على ضرورة وقف الجهاد في شرق السودان لما أصابه خلال تلك الفترة من المجاعة العظمى[١١١]، وقد أحزنت تلك التطورات صنوع بشدة وحمل إنجلترا مسئولية خراب مصر والسودان[١١٢].

عانى شرق السودان من مجاعة شديدة ازدادت وطأتها بسبب منع السلطات الإنجليزية التبادل التجاري مع القبائل المحلية عن طريق سواكن؛ مما أدى إلى إضعاف قوة المهديين، وسقوط مراكزهم هنالك في أيدي الإنجليز، وهزيمة عثمان دقنة أمام القوات الإنجليزية في التاسع عشر من فبراير ١٨٩١م، وفراره إلى أم درمان[١١٣]، ولم يشر صنوع إلى تلك الهزائم التي منيت بها القوات المهدية، بل اكتفى بذكر ما يعانيه أهل السودان من مجاعة شديدة، وأن الإنجليز لم يرحموا حاجتهم، بل أرسلوا قواتهم لنهب ما تبقى من خيرات بلادهم[١١٤].

مع الهزائم المتعددة التي منيت بها قوات المهدي على يد الإنجليز، أكد صنوع على أن بريطانيا "تتخذ من أمر إطالة الثورة في السودان ذريعة لاستمرار احتلالها لمصر"، وقد نقل صنوع في هذا الصدد رسالة من أحد أعيان القاهرة تحت عنوان "ما أخبث الجراد الحمر" يناقش فيها أطماع الإنجليز في مصر والسودان، وقد شمل هذا المقال آراء مخالفة لآراء صنوع تجاه المهديين وحركتهم، فقد وصف صاحب المقال الحركة المهدية بأنها "عصيان أضر بمصر والسودان معا"، وأن إنجلترا ترغب في استمرار الحركة المهدية لتجد مبررا لبقائها في مصر[١١٥]، وهنا يمكن القول بأن صنوع لم يغير موقفه من الحركة المهدية، وأن ما دفعه لنقل هذا المقال ما يحويه من ذم للإنجليز، وبيان مكرهم وخبث نواياهم، كذلك فإن نقل هذا المقال يعطي دلالة واضحة على أن اهتمام صنوع بشأن الحركة المهدية لم يكن تأييدا للحركة في حد ذاتها، بل لأنه وجد في قوتها أملا في خلاص مصر من الاحتلال البريطاني، وحينما ضعفت الحركة المهدية كان الأمر المسيطر على تفكيره

---

(١١١) هولت، مرجع سابق، ص ص ٢٠٧-٢٠٩.

(١١٢) جريدة أبي نظارة، العدد الرابع السنة الثالثة عشر، بتاريخ ٢٦ إبريل ١٨٨٩، ص ٣.

(١١٣) هولت، مرجع سابق، ص ٢١٢.

(١١٤) "السودان"، جريدة أبي نظارة، العدد السادس السنة السادسة عشر، بتاريخ ٢٥ مارس ١٨٩٢، ص ٢.

(١١٥) "ما أخبث الجراد الحمر"، نفس المصدر، العدد الثامن السنة الثالثة عشر، بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٨٩، ص ١.

بيان سوء مقاصد الإنجليز، وإثارة الدول الغربية للضغط عليهم للخروج من مصر، وهو الأمر الذي جعله يغض الطرف عن بعض ما جاء في المقال بشأن المهدية.

٣. استرداد السودان ونهاية الحركة المهدية:

أصاب الضعف أركان الدولة المهدية، كما شهد الموقف الدولي خلال الشهور الثلاثة الأولى من عام ١٨٩٦م بعض التطورات[١١٦] جعلت الحكومة الإنجليزية تتخذ قرارا للقيام بعمل حاسم لضم السودان، فتلقى كتشنر القائد العام للجيش المصري صباح يوم الثالث عشر من مارس ١٨٩٦م برقية من الحكومة الإنجليزية تأمره بالتقدم بالجيش المصري داخل الأراضي المهدية[١١٧]، وقابل صنوع نبأ إعلان الإنجليز الحرب على المهديين بالاستنكار وأشار إلى أن محاربة السودانيين نتائجها مشئومة على مصر مفيدة لأعدائها في كل الأحوال؛ فإذا انتصروا سيحكمون قبضتهم على السودان، فتقوى شكوتهم بالتبعية في مصر، وإذا انهزموا سيتخذون من كسرتهم حجة جديدة لإطالة أمد إقامتهم فيها، وقد استشهد صنوع بمقال نشره الشيخ عبد الله كويليام Quilliam (١٨٥٦-١٩٣٢) أحد المسلمين الإنجليز في جريدته "الهلال" أكد فيه أن الحرب التي أشهرتها الحكومة الإنجليزية على السودان إنما هي ظلم وعدوان؛ لأنها تلزم العساكر المصريين المسلمين بمحاربة إخوانهم في الدين، مشيرا إلى أن كل من يعاون الإنجليز في هذه الحرب سيكون آثما؛ لأنه يخالف بذلك مبادئ الشريعة الإسلامية[١١٨]، فقد كان كويليام من أشد الإنجليز

---

[١١٦] هزمت القوات الإيطالية على يد الأحباش في موقعة عدوة في أول مارس ١٨٩٦م، ووبرزت احتمالية قيام تعاون بين القوات الحبشية والمهدية، كما شهد جنوب السودان تصارعا أوروبيا للتقدم صوب النيل الأعلى، فقد أخرجت فرنسا بعثة بقيادة جيان بابتست مارشان Jean- Baptiste Marchand (١٨٦٣-١٩٣٤) هدفها إخضاع السودان للنفوذ الفرنسي، والسيطرة على أعالي النيل، وبالتالي العمل على إخراج الإنجليز من مصر، ولهذا أيد الرأي العام الإنجليزي بحماس شديد فكرة التقدم السيطرة على السودان. لمزيد من التفاصيل انظر:
- Green, Dominic, Three Empires on the Nile: The Victorian Jihad 1869-1899, New York: Free Press, 2007, p. 240.

[١١٧] هولت، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

[١١٨] "لا تيقظ الأسد النائم"، جريدة أبي نظارة، العدد الرابع السنة العشرون، بتاريخ ٨ إبريل ١٨٩٦، ص ١؛ ولمراجعة مقال عبد الله كويليام بشأن محاربة الإنجليز للسودانيين، انظر:
- Wolffe, John (Ed), Religion in Victorian Britain, Vol. V, (Culture and Empire), Manchester University Press, 1997, p. 431.

انتقادا للسياسة الخارجية البريطانية في السودان، ومن المؤمنين بمبدأ عدم محاربة المسلمين إخوانهم في الدين نيابة عن القوى الأوروبية(١١٩).

على الرغم من ضعف المهديين والهزائم السابقة التي نزلت بهم على يد القوات المصرية الإنجليزية فإن صنوع وصفهم بأنهم أسود نائمة حيث لم يكن هناك سبب لاستيقاظها، أما وقد شعروا بالخطر من جراء إشعال بريطانيا الحرب ضدهم، فإنهم سينهضون ويفتكون بالإنجليز، مثلما فعلوا من قبل وأبادوا أشهر رجالهم، وأن على إنجلترا أن تبتعد عن السودان، وألا تيقظ تلك الأسود النائمة، وأعقب ذلك برسم صور فيه أحد أتباع المهدي فى صور أسد نائم يحاول أحد الإنجليز إيقاظه ويظهر في الرسم بقايا جثث القادة الإنجليز مثل هكس وجوردون(١٢٠).

رسم رقم (٩) يصور فيه صنوع أحد أتباع المهدي في صورة أسد نائم ومن حوله بقايا جثث الإنجليز(١٢١)

(١١٩) Ibid, p. 431-432.

(١٢٠) "لا تيقظ الأسد النائم"، جريدة أبي نظارة، العدد الرابع السنة العشرون، بتاريخ ٨ إبريل ١٨٩٦، ص ١؛ "ماضي ومستقبل الحمر في بلاد السود والسمر"، العدد السادس السنة العشرون، بتاريخ ١٠ محرم ١٣١٤هـ (٢٠ يونيو ١٨٩٦م)، ص ١.

(١٢١) "لا تيقظ الأسد النائم"، جريدة أبي نظارة، العدد الرابع السنة العشرون، بتاريخ ٨ إبريل ١٨٩٦، ص ٤.

تقدمت القوات المصرية الإنجليزية بقيادة كتشنر في الثامن عشر من مارس ١٨٩٦م، وحققت انتصارات متتالية على المهديين، كان أهمها موقعة فركة في السابع من يونيو من نفس العام، ولم يأت شهر سبتمبر حتى فقدت الدولة المهدية شمال السودان من وادي حلفا إلى أرض الشائقة، مما أكسب كتشنر شهرة واسعة في بريطانيا، ورقي إلى رتبة الجنرال في الخامس والعشرين من سبتمبر ١٨٩٦م[١٢٢]، وقد أنكر صنوع تلك الانتصارات وأشار أن ما يحدث في السودان ليست حربا حقيقة، ولكنها "لعب صغار وضحك على الدقون"، وأن الإنجليز لم يقابلوا خيال واحد طوال مسيرتهم من الصعيد حتى دنقلة، بل قابلوا أطفالا ونساء سهل عليهم هزيمتهم[١٢٣]، وحينما سقطت بربر في السادس من سبتمبر ١٨٩٧م بعدما قام حاكمها محمد الزاكي بإخلاء المدينة وسحب الحامية الموجودة منها[١٢٤] اتخذ صنوع ذلك الحدث للدلالة على صدق ما نشره بشأن عدم محاربة المهديين للإنجليز، وأنهم سيطروا على المدينة دون قتال[١٢٥].

ترك سقوط بربر أثرا سيئا في نفوس القوات المهدية، وازداد الأمر سوءا ما كانت عليه تلك القوات من الإرهاق والعطش والتعب الشديد، وقد تجمعت في العطبرة في التاسع عشر من مارس ١٨٩٨م، فانتهز كتشنر تلك الفرصة وقرر مهاجمة المهديين، وحقق عليهم انتصارا ساحقا في الثامن من إبريل ١٨٩٨م[١٢٦]، وكانت تلك الموقعة شديدة قتل فيها ثلاثة آلاف سوداني وجُرِحَ أكثر من أربعة آلاف، في حين لم تزد الخسائر المصرية الإنجليزية عن خمسمائة وعشرة فردا من بينهم مائة وأربعة عشر من الإنجليز[١٢٧]، نشر صنوع في جريدته أخبار معركة العطبرة في مقال بعنوان "النُصرة مصرية والنسبة إنجليزية" يظهر في هذا المقال قدر كبير من التناقض؛ ففي تحليل صنوع للموقعة ذكر أن العساكر المصرية هم أصحاب هذا الانتصار لما أبدوه من شجاعة وجسارة في مقاتلة السودانيين،

---

(١٢٢) London Gazette, Issue 26781, 29 September 1896, p. 5379.

(١٢٣) "فشار الإنجليز وتكبرهم"، جريدة أبي نظارة، العدد الحادي عشر والثاني عشر، السنة العشرون، بتاريخ ٢٠ جمادى الثاني ١٣١٤هـ (٢٥ نوفمبر ١٨٩٦م)، ص ١.

(١٢٤) هولت، مرجع سابق، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(١٢٥) "فتح بربر"، جريدة أبي نظارة ، العدد العاشر السنة الحادية والعشرون، بتاريخ ٢٠ جماد الأول ١٣١٥هـ (١٦ أكتوبر ١٨٩٧م)، ص ١.

(١٢٦) Heathcote, T.M., op.cit., p. 124.

(١٢٧) هولت، مرجع سابق، ص ٢٩٦.

بينما كان الإنجليز بعيدين كل البعد عن ميدان القتال، وأن السودانيين الذي لا يزال يصفهم بالأسود قاتلوا بشجاعة وبسالة تستحق الفخر، ثم يذكر في المقال نفسه أن هذا الانتصار حققه الإنجليز بالخيانة؛ لأنهم هاجموا السودانيين وهو نائمون، وقاموا بتسليط مدافعهم المملوء بالديناميت عليهم(١٢٨)، ولعل هذا التناقض سببه كراهيته الشديدة للإنجليز التي جعلته يمتنع عن ذكر أي انتصار لهم.

واصلت القوات المصرية الإنجليزية هزيمتها للقوات المهدية في موقعة أم درمان في الثاني من سبتمبر ١٨٩٨م، وأشاد صنوع بالمقاومة الشديدة التي أبدها المهديون، مشيرا إلى أنهم أسود لم يُرى مثلهم في الشجاعة والبسالة قاتلوا ببأس شديد حتى امتلأ ميدان القتال بجثثهم، وأنه لولا استخدام الإنجليز الرشاشات المعمرة بالديناميت لما تمكنوا منهم(١٢٩)، ولعل ما ذكره صنوع بشأن هذه المعركة كان موافقا إلى حد كبير لما حدث فقد حارب المهديون بشجاعة عظيمة أمام المدافع الرشاشة وقذائف بنادق الإنجليز، حتى يذكر هولت أنه قتل منهم نحو أحد عشر ألفا، وجرح نحو ستة عشر ألف مقابل خسارة لم تتجاوز ثمانية وأربعين قتيلا، وثلاثمائة واثنين وثمانين جريحا من القوات المصرية الإنجليزية، وأن هذه المذبحة الدموية أثارت النقد في بريطانيا(١٣٠)، وبعد هذا الانتصار أمر كتشنر إخراج جثمان المهدي وإحراقه، وهو الأمر الذي استنكره صنوع بشده منددا بالإنجليز الذين يدعون الحضارة والتمدن، واصفا إياهم بأنهم أكثر الأمم توحشا وظلما، فهم لا يراعون حُرمة الأحياء فضلا عن الموتى، حيث أخرجوا جثمان المهدي ومثلوا به أمام أهله، كما أنهم يذبحون الجرحى انتقاما منهم، وقد صور ذلك في رسم أوضح فيه مدى وحشية الإنجليز وعدم رحمتهم(١٣١). والراجح أن صنوع أصابه اليأس عقب هزيمة المهديين في تلك المعركة، وفرار الخليفة عبد الله التعايشي هاربا، ورغم أن الصراع الإنجليزي المهدي

---

(١٢٨) "النصرة المصرية والنسبة إنجليزية"، جريدة أبي نظارة، العدد الرابع السنة الثانية والعشرون، بتاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٥هـ (٢٩ إبريل ١٨٩٨م) ص ١.

(١٢٩) "فتح الخرطوم"، نفس المصدر، العدد التاسع السنة الثالثة والعشرون، بتاريخ ١٠ جماد الأول ١٣١٦هـ (٢٥ سبتمبر ١٨٩٨م)، ص ١.

(١٣٠) لمزيد من التفاصيل عن موقعة أم درمان، انظر:

- هولت، مرجع سابق، ص ٢٧١-٢٧٢

- Collins, Robert O., A History of Modern Sudan, First Published, Cambridge University press, 2008, p. 31-32.

(١٣١) "وحشنة الإنجليز وعدم مرحمتهم"، جريدة أبي نظارة، العدد الثالث السنة الثالثة والعشرون، بتاريخ ١٤ذي القعدة ١٣١٦هـ (٢٥ مارس ١٨٩٩م)، ص ١.

قد انتهى بعد مضي أكثر من عام من موقعة أم درمان، حينما هزم ما تبقى من القوات المهدية في موقعة أم دويكرات في الرابع والعشرين من نوفمبر ١٨٩٩م أمام القوات الإنجليزية بقيادة السير رجنالد ونجت Reginald Wingate (١٨٦١– ١٩٥٣)، وقُتِلَ خليفتهم[١٣٢]، إلا أن صنوع لم يشر إلى تلك الموقعة وكان آخر ما كتبه عن الحركة المهدية ما وقع في أم درمان.

Les Anglais se partageant les restes sacrés du Mahdy du Soudan.

رسم رقم (١٠) يوضح فيه صنوع وحشية الإنجليز في محاربة المهديين[١٣٣].

يتضح من العرض السابق اهتمام صنوع بأمر الحركة المهدية اهتماما واضحا جعله يفرد لها مساحة ليست بالقليلة في جريدته، وأنه أشاد بالمهدي وإنجازاته وبين جهوده لرفع شأن المسلمين، وتحقيق النصر على أعدائهم من الإنجليز، كما يلاحظ أن صنوع لم يكن منصفا في بعض الأحوال في عرض الوقائع التاريخية، فقد دفعته كراهيته الشديدة للإنجليز ونقمته على وجودهم في مصر إلى تحويل انتصاراتهم على القوات المهدية إلى هزائم، أو التهوين من شأن هذه الانتصارات، وبيان أن سببها الأساسي كان القوات المصرية التي وضعت دائما في المقدمة لتصد عن الإنجليز رماح الأنصار الفتاكة، أو استخدام الإنجليز المدافع الرشاشة والبنادق التي تخفي وراءها ضعف الإنجليز وجبنهم.

---

(١٣٢) Collins, Robert O., op.cit., p. 32.

(١٣٣) "وحشنة الإنجليز وعدم مرحمتهم"، جريدة أبي نظارة، العدد الثالث السنة الثالثة والعشرون، بتاريخ ١٤ ذي القعدة ١٣١٦هـ (٢٥ مارس ١٨٩٩م)، ص ٤.

قائمة المصادر والمراجع

***المصادر والمراجع العربية**

أولا: الوثائق غير المنشورة

وثائق دار الوثائق القومية بالقاهرة وتشمل:

١. وثائق مجلس الوزراء، نظارة الداخلية، محفظة ١/١، ٢/١.

ثانيا: المصادر العربية

١. إبراهيم فوزي باشا، السودان بين يدي غردون وكتشنر، الجزء الأول، القاهرة: ١٣١٩هـ

ثالثا: الصحف المعاصرة

١. جريدة الحاوي.

٢. جريدة الوقائع المصرية.

٣. جريدة أبي نظارة.

٤. جريدة أبي نظارة زرقا.

رابعا: المراجع العربية

١. إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الآداب، د.ت.

٢. ب. م. هولت، المهدية في السودان، ترجمة: جميل عبيد، مراجعة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨.

٣. تيودور روثستين، تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥-١٩١٠، ترجمة: عبد الحميد العبادي، محمد بدران، الطبعة الثانية، بيروت: دار الوحدة، ١٩٨١.

٤. حمدنا الله مصطفى حسن، "الثورة المهدية في السودان (١٨٨١-١٨٩٨م)"، منشور في:كتاب محبة التاريخ دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر مهداة إلى: أحمد زكريا الشلق، تحرير: لطيفة محمد سالم، إعداد: عبد المنعم محمد سعيد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦.

٥. عبد الله أحمد عبد الله، الصحافة الفكاهية في مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٣.

٦. فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثاني، بيروت: المطبعة الأدبية، ١٩١٤.

٧. محمد باشا المخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني، الطبعة الثانية، دمشق: مطابع دار الفكر، ١٩٦٥.

٨. محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، الإسكندرية: ١٩٩٨.

*** المصادر والمراجع الأجنبية**

أولا: الصحف الأجنبية المعاصرة

1. Evening Post.
2. London Gazette.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1. Churchill, Winston Spencer, The River War: an historical account of the reconquest of the Sudan, Edited by Col. F. Rhodes, London: Longman Green and Co., 1902.
2. Collins, Robert O., A History of Modern Sudan, First Published, Cambridge University press, 2008.
3. Ettmueller, Eliane Ursula, "Abu¯ Nazza¯ra's Journey from Victorious Egypt to Splendorous Paris: The Making of an Arabic Punch", in: Asian Punches: A Transcultural Affair, Heidelberg: Springer, 2013.
4. Green, Dominic, Three Empires on the Nile: The Victorian Jihad 1869- 1899, New York: Free Press, 2007.
5. Heathcote, T.M., The British Field Marshals 1736-1997: A Biographical Dictionary, London: 1999.
6. Moon, George Washington, Men and women of the time, a dictionary of contemporaries, London: George Rutledge and Sons Limited, 1891.
7. Mossa, Matti, The Origins of Modern Arabic Fiction, Second Edition, Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1997.
8. Neufeld, Charles, A Prisoner of the Khaleefa: Twelve year's Captivity at Omdurman, Chapman and Hall, LD., London: 1899.
9. Spiers, Edward M., Dervishes and Fanaticism: perception and impact in: Fanaticism and Conflict in the Modern Age, Edited by: Hughes, M. and Johnson, G., First Published, New York: Frank Cass, 2005.
10. Wolffe, John (Ed), Religion in Victorian Britain, Vol. V, (Culture and Empire), Manchester University Press, 1997.

ثالثا: الدوريات الأجنبية

1. Badawi, M.M., "Father of the Modern Egyptian Theatre: Ya'qūb Sannu", Journal of Arabic Literature, Vol.16, 1985.
2. Gendizer, Irene L.," James Sanua and Egyptian Nationalism", Middle East Journal, Vol. 15, No.1, winter 1961.
3. Moore-Harell, Alice, "Slave trade in Sudan in the nineteenth century and its suppression in the years1877-1880", Middle Eastern Studies, Vol. 34, No. 2, Apr., 1998.

رابعا: الموسوعات الأجنبية

1. Encyclopedia Britannica, Vol. 13, 1911.